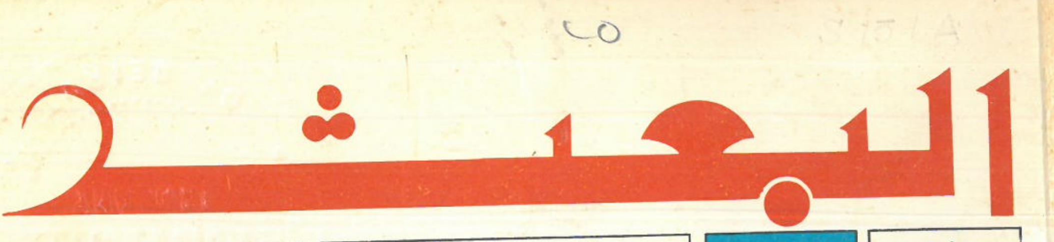
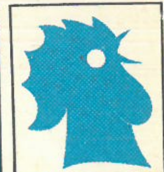


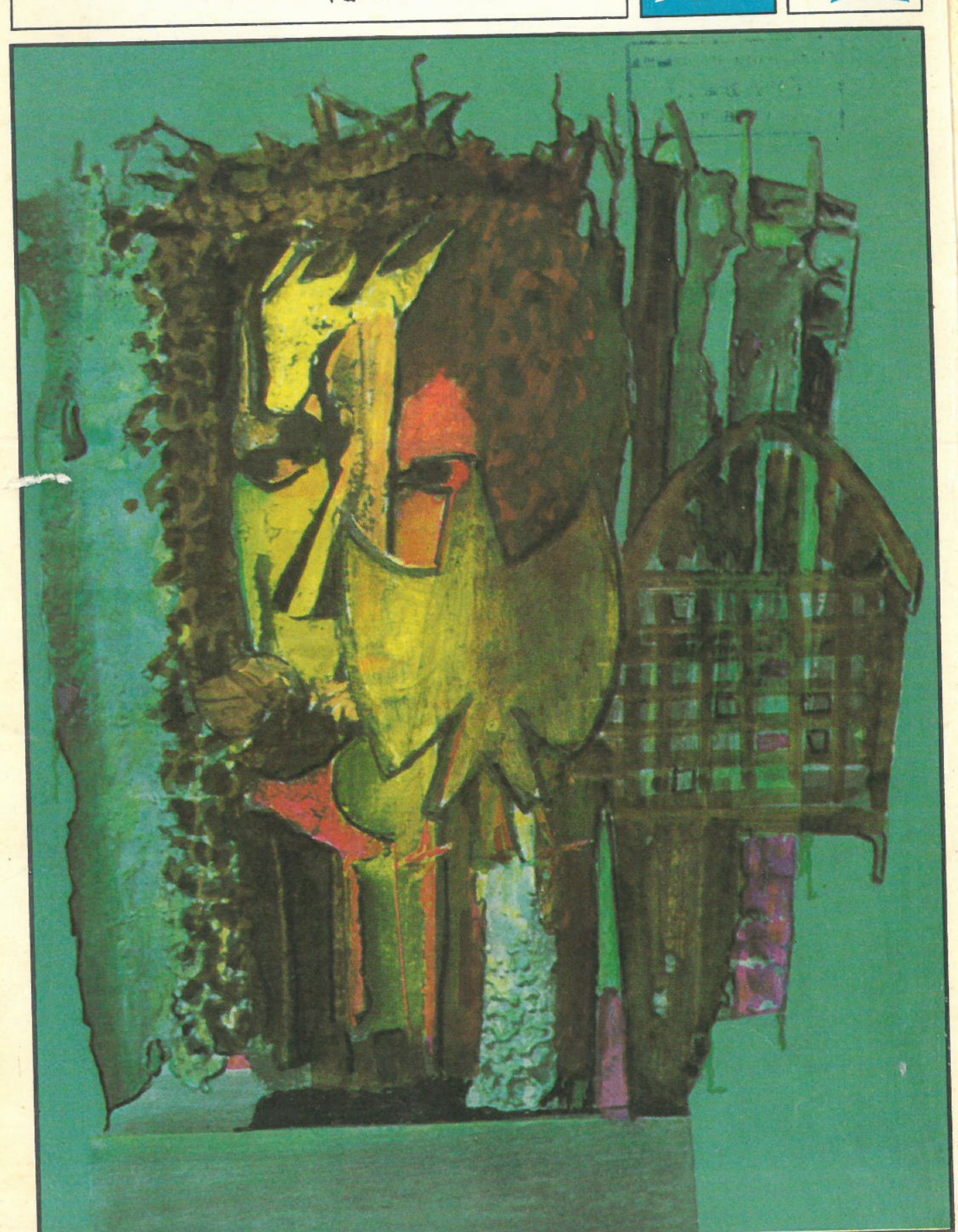




البعث

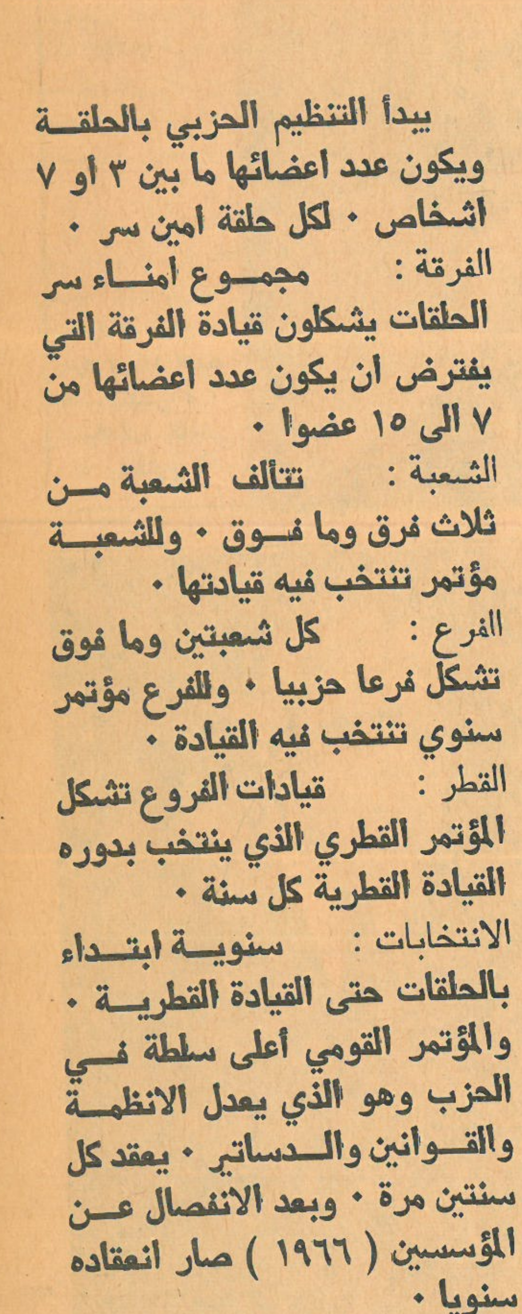
من المدارس الى الثكنات

ابرهيم سلامه





من النظام الداخلي لحزب البعث



يبدأ التنظيم الحزبي بالحلقة ويكون عدد اعضائها ما بين ٣ أو ٧ اشخاص . لكل حلقة امين سر .

الفرقة : مجموع امناء سر الحلقات يشكلون قيادة الفرقة التي يفترض أن يكون عدد اعضائها من ٧ الى ١٥ عضوا .

الشعبة : تتألف الشعبة من ثلاث فرق وما فوق . وللشعبة مؤتمر تنتخب فيه قيادتها .

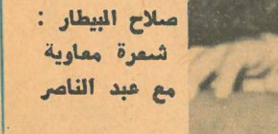
الفرع : كل شعبتين وما فوق تشكل فرعا حزبيا . وللفرع مؤتمر سنوي تنتخب فيه القيادة .

القطر : قيادات الفروع تشكل المؤتمر القطري الذي ينتخب بدوره القيادة القطرية كل سنة .

الانتخابات : سنوية ابتداء بالحلقات حتى القيادة القطرية . والمؤتمر القومي أعلى سلطة في الحزب وهو الذي يعدل الانظمة والقوانين والدساتير . يعقد كل سنتين مرة . وبعد الانفصال عن المؤسسين (١٩٦٦) صار انعقاده سنويا .



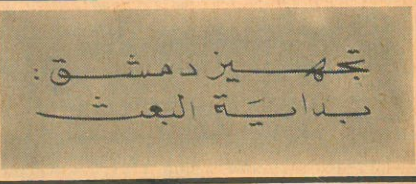
ميشال عفلق : « لا هذا البعث بعثي ، ولا هذا الجيش عسكري »



صلاح البيطار : شعرة معاوية مع عبد الناصر

بدأت فكرة البعث العربي تراود اذهان ومخيلة الشباب والمثقفين في سوريا اثر الثوة العربية الاولى التي انتهت بتتويج الامير فيصل سنة ١٩٢٠ ملكا على سوريا والعراق . وصارت دمشق بعد ترحيل فيصل وفشله مركز نشاط الطلاب والمثقفين و « بطرسبورغ » المستقبل ، لـ « حلم بعث العرب واعادة امجادهم الغابرة » ، حتى جاءت ثورة ١٩٢٥ ضد المستعمرين الفرنسيين التي شكلت بدورها الشرارة الثانية في وقود انبعاث الروح القومية والوطنية لدى شباب سوريا آنذاك .

في هذه الفترة كانت « تجهيز دمشق » وهي مدرسة ثانوية تخرج مجموعة من الطلاب الذين عاشوا فترة حكم فيصل وحلم الدولة العربية الواحدة وساهموا كطلاب في ثورة ١٩٢٥ . من بينهم ميشال عفلق وصلاح البيطار ، اللذان سافرا سنة ١٩٢٨ الى باريس ، الاول للتخصص في مادة التاريخ والثاني للتخصص في مادة الرياضيات والفيزياء .



مثلت باريس ١٩٢٩ — ١٩٣٢ بالنسبة الى الطالبين ميشال عفلق وصلاح البيطار الدور الذي مثلته جنيف ولندن بالنسبة الى لينين وتروتسكي قبلحوالي خمسين سنة . فقد كانت باريس يومذاك ملتقى التيارات القومية والاشتراكية . وكانت صيحات النازيين الالمان والفاشيست الطليان تحرك مشاعر الشعب الفرنسي ومثقفيه باتجاهين متعاكسين : اتجاه محبذ ولد ضمنيا ، واتجاه معارض مخاصم عرف في حينه وفي ما بعد بالاتجاه الاشتراكي او بالمفهوم الماركسي الاممي . في ذلك الجو الباريسي الضبابي مناخيا وفكريا اخذ طالبا « تجهيز دمشق » بصياغة خطهما الفكري ملتقيين مع مجموعة من الطلاب المغاربة ، وفي مقدمتهم علال الفاسي ، حول رابطة ثقافية عرفت « بجمعية الثقافة العربية » التي هدفت الى تذكير الاوروبيين والعرب أنفسهم بانهم ابناء ثقافة معينة ، وبانهم طلاب عرب وعروبة غير نازية النزعة وبالوقت نفسه ليست فرعا من الفكر او الاجتهاد الماركسي الاممي . وكانت هذه الجمعية تطبع منشورا متواضعا باللغة الفرنسية لتعريف الاوروبيين بالثقافة العربية ، وتدعو بين الحين والحين الى ندوات



زكي الارسوزي : المؤسس الغائب

ومحاضرات للطلاب العرب في باريس ولاصدقائهم من مختلف الجنسيات .

وبين ١٩٣٢ — ١٩٣٣ عاد طالبا « السوربون » وتلميذا « التجهيز الدمشقي » ليصبحا استاذين في المعهد نفسه كل في حقل اختصاصه ، حاملين معهما من باريس خلاصة اربع سنوات من الثقافة الاوروبية ، واخذا يعقدان الحلقات مع زملائهما اساتذة التجهيز وطلابه الشباب ، حتى كانت سنة ١٩٣٤ حين أصدرا مجلة « الطليعة » بالاتفاق مع الشيوعيين السوريين وبعض الماركسيين العرب حيث كانت وجهات نظر الفريقين متقاربة واحيانا منسجمة حول العداء للاستعمار ، وضرورة ايقاظ الشعب السوري والامة العربية من غفوتها الطويلة ، وتخليصها من الرجعية والفساد والتخلف .

استمر شهر العسل الاول بين جماعة « الاحياء العربي » والشيوعيين السوريين الى تاريخ توقيع المعاهدة — السورية — الفرنسية سنة ١٩٣٦ . اذ ذاك رحب الشيوعيون وجماعة الكتلة الوطنية بزعامة شكري القوتلي بهذه الاتفاقية بينما عارضها تجمع الاستاذين عفلق والبيطار وشارك في اضراب الخمسين يوما الشهير في سوريا . ومنذ ذلك التاريخ توقف عفلق والبيطار عن المساهمة في تحرير مجلة « الطليعة » فتفرد بها الشيوعيون وتولى الكتابة فيها رجا حوراني ورئيف خوري وقدري قلعجي واميلي فارس ابراهيم وغيرهم .. وما ان اطلت الاربعينات واتسعت معها رقعة الحرب العالمية الثانية حتى اتسعت شقة الخلاف بين تجمع «الاحياء العربي» والشيوعيين السوريين . وكانت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق هي نقطة الانفجار الثانية ، اذ سارع تجمع «الاحياء العربي» الى مساندة الثورة الكيلانية وارسال متطوعين للمشاركة فيها بينما عارض الشيوعيون الثورة ووصفوها بانها « نازية » وموحى بها من مخابرات هتلر وموسوليني . ثم جاءت انتخابات ١٩٤٣ الاولى في تاريخ سوريا المستقلة فنزل ميدانها ميشال عفلق مرشحا عن المقعد المسيحي في دمشق ضد مرشحي الكتلة الوطنية ، فنال ١٤٥ صوتا من اصوات المندوبين الذين كانوا يشكلون المرحلة الثانية من الانتخابات (كانت طريقة الانتخابات تجري على مرحلتين وليس على مرحلة واحدة) ، لكنه لم يصل الى الندوة النيابية .

استمر اساتذة «التجهيز» وطلابهم يلتقون ويتشاورون على اساس حلقات وليس على اساس الانضباط الحزبي منذ عودة طالبي التاريخ والرياضيات من باريس سنة ١٩٣٢ لغاية نيسان ١٩٤٦ حيث تلاقت مجموعة منهم في مقهى « لونا بارك » في شارع بغداد في دمشق وأعلنت تأسيس حزب «البعث العربي» . ومن ابرز الحاضرين عدا ميشال عفلق وصلاح البيطار : جلال السيد ، وهيب الغانم ، جمال الاتاسي ، فيصل الركبي، عبد الحليم قدور . كما تقرر في الاجتماع نفسه ان تصدر جريدة ناطقة باسم الحزب تحت اسم « البعث » .

ومنذ ثورة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ تلاقت جماعة «الاحياء العربي» — البعث في ما بعد — على أرضية واحدة مع اكرم الحوراني المحامي الشاب الذي كان قدم من حماه ليفتح مكتبا متواضعا في دمشق العاصمة . فما ان اعلن الكيلاني عن ثورته على الانكليز حتى كان أكرم الحوراني وعدنان المالكي من اوائل المتطوعين السوريين الذين ذهبوا لمناصرة الثورة . ثم جاءت انتخابات ١٩٤٣ ففاز الحوراني عن دائرة حماه ، وكانت مواقفه اليومية وخطبه في مجلس النواب متشابهة وملتقية مع جماعة « الاحياء العربي » . وباعتباره نائبا في المجلس النيابي كان الوحيد الذي وقف ودافع عن صلاح البيطار الذي كان معتقلا آنذاك وطالب بالافراج عنه . على ان الحوراني لم يكن وحيدا في النضال السياسي اليومي كما كان وحيدا في مجلس النواب . فقد اسس سنة ١٩٤٣ حزبا عرف باسم « حزب الشباب» كان بين أعضائه البارزين نخله كلاس — وشقيقه خليل كلاس — عبد الكريم زهور وعلي عدي ، وجريدة اسبوعية ناطقة باسمهم عرفت « باليقظة » . وكان بين حزبي « الشباب » و « الاحياء العربي » نوع من وحدة المنطلقات وكثير من الود والتجانس . وكانت اللقاءات بين اعضائهما تتم في اغلبيتها في مقهى « الطاحونة الحمراء » في دمشق حيث يتردد اليه اكثر الاساتذة من كلا الحزبين القوميين التقدميين . وشيئا فشيئا اخذت



اكرم الحوراني : اشتراكي دائم وبعثي موقت

عناصر القاعدة في الحزبين تطالب بالدمج وتوحيد العمل السياسي اليومي لمواجهة الخطر المشترك الذي كان يتصدى للحزبين ، وهو خطر البورجوازية الدمشقية الكبيرة وخطر التيار الديني الذي كان متمثلا بتجمع الاخوان المسلمين .

واستمرت محاولات الضغط من القاعدة على القياديين فترة طويلة تميزت من جانب عفلق بالتردد والمماطلة حتى تمت عملية الدمج في ايام حكم الشيشكلي سنة ١٩٥٣ — بعدما تحول حزب الشباب الى « الحزب الاشتراكي العربي » في ١٩٥٠ — كما تحول شقيقه « الاحياء العربي » الى « البعث العربي » وصار اسم الحزب المندمج رسميا وشعبيا « حزب البعث العربي الاشتراكي » ، كما توقفت جريدة « الاشتراكية » التي كان يصدرها الحوراني لتصير جريدة « البعث » اليومية الناطقة الرسمية باسم الحزب الجديد المتحد .

كانت عملية الدمج فدرالية اكثر منها وحدة عضوية ، اذ احتفظ كل من عفلق والحوراني بنظرته المختلفة لاسلوب العمل السياسي اليومي ، كما احتفظ كل واحد منهما بارتباطاته الشخصية التي سبقت فترة الدمج والتوحيد . ففي حين انصرف اكرم الحوراني الى مقارعة العائلية المتنفذة في منطقته — حماه — وتوسيع رقعة الحزب افقيا وعموديا داخل القطر السوري (مؤتمر الفلاحين في حماه حضره حوالى خمسين الف فلاح) انصرف عفلق لنشر الدعوة البعثية في العواصم العربية — كبغداد وعمان ومن ثم بيروت والقاهرة بواسطة تلاميذه أو زملائه السابقين في الدراسة الذين سيشكلون في ما بعد ما عرف بتجمع عفلق الذي جوبه به اكرم الحوراني في المؤتمرات القومية وفي المناسبات الحزبية الفاصلة . كذلك ظهر تباين ايديولوجي واضح منذ يوم الاندماج الاول . ففي حين كان يرى عفلق ان « الملكية الفردية حق مقدس » ، كان رأي الحوراني في الملكية الفردية انها « وظيفة اجتماعية يجب ان تكيف للمصلحة العامة » . على ان وحدة الخطر المشترك وضغط القواعد الحزبية من كلا الطرفين فرضت هذا الدمج الفدرالي بين عقليتين مختلفتين وبين رجلين متناقضين كل التناقض من حيث تقييمهما لكيفية الممارسة السياسية اليومية والحزبية .

بدأ رسل البعث وموفدوه يؤسسون خلايا وفروعا جديدة للحزب خارج سوريا

منذ سنة ١٩٤٨ وما بعد ـــ أي قبل اتمام عملية الاندماج بين «البعث» و«الاشتراكي» بثلاث سنوات على الاقل . ومن بين الطلاب الاردنيين في جامعة دمشق كوّن أمين شقير وعبدالله النعواس وبهجت ابو غريبه اول فرع للحزب في الاردن وذلك بين ١٩٥٠ ـــ ١٩٥١ . كذلك قام الطلاب العراقيون في الجامعة نفسها : كريم شنتاف ، فؤاد الركابي ، عبدالله سلوم ، عبد الرحمن منيف ، فؤاد شاكر مصطفى ، مدحت ابرهيم جمعة ، فيصل حبيب الخيزران وحميد خلخال وعلي صالح السعدي ـــ قاموا بتأسيس فرع عراقي للبعث بين ١٩٥٢ ـــ ١٩٥٣ .

اما لبنان فقد دخل اليه البعث عن طريق رسولين احدهما لبناني ، كان طالبا للطب في جامعة دمشق هو علي جابر وثانيهما مدرس سوري هو انعام الجندي الذي اوفدته قيادة البعث بين ١٩٥٠ ـــ ١٩٥١ لنشر المبادىء البعثية في لبنان . وقد بدأ نشاطه بحلقات محدودة للطلاب الذين كان يحتك بهم بحكم مهنته التدريسية في اعدادية الجامعة الاميركية في بيروت ، حيث تحلق حوله الطلاب آنذاك : محمد عطاالله (لبناني) سعدون حماده (عراقي) علي فخرو (بحراني) وعاطف دانيال (سوري) بينما كان الدكتور علي جابر بدوره ينشىء اول غرسة بعثية في مناطق طلابية اخرى في بيروت نفسها وفي مدينة صيدا . ومن بين اوائل المحبذين الذين استجابوا لدعوته : عبد الوهاب شميطلي ، عدنان سنو ، غسان شرارة ، حسان مولوي ، فؤاد الادهمي ومحمد خير الدويري . واستمر شكل النشاط البعثي يأخذ طابع الحلقات والندوات لغاية ١٩٥٤ حيث صار للحزب فرع رسمي في لبنان اختير علي جابر كأول أمين قطري له بعدما كان لانعام الجندي خلال سنوات التأسيس الاربع « حق الصدارة » على رفيقه الدكتور علي جابر .

ويلاحظ ان الحزب اخذ في الاقطار العربية الجديدة : الاردن ـــ العراق ـــ لبنان الملامح ومناطق التغلغل نفسها التي اخذها في « موسكو البعث » دمشق . اي طبقة المثقفين ، بدءا بالمعلمين والاساتذة ثم بالطلاب الجامعيين ـــ اي ان مجال الحزب الحيوي كان اولا وقبل كل شيء ـــ الجامعة وما دونها وما حولها .

سقوط الشيشكلي : العصر الذهبي

اديب الشيشكلي : نهايته بداية البعث

كانت علاقة الشيشكلي بالبعث ودية الى تاريخ ١٩٥٠ ـــ اذ سبق والتقى الحوراني وقنوت وحمدون في حرب فلسطين كما أيد البعث في انقلاب حسني الزعيم الذي عاد وانقلب على الفريقين الشيشكلي والبعث . لكن الشيشكلي الحاكم غيره الشيشكلي الضابط ـــ فما ان تفرد بالسلطة سنة ١٩٥٢ حتى بدأ عداؤه للبعثيين وبدأ ضباط البعث ـــ أو بالاحرى الاشتراكيون آنذاك في اعداد انقلاب للاطاحة بالشيشكلي تولى ترتيبه وتنفيذه عدنان المالكي وعبد الغني قنوت. وجرت المحاولة فعلاً كما يؤكد مصطفى حمدون ـــ وعلى اثرها اعتقل الشيشكلي عدنان المالكي وعبد الغني قنوت ورياض المالكي وشهير الدريعي وفر الحوراني وعفلق والبيطار الى بيروت ومن ثم الى روما . واستمر الصراع البعثي الشيشكلي يأخذ طريقين جديدين . على الصعيد المدني توصل البعث الى اقامة جبهة مع الاحزاب السياسية السورية (الشعب والحزب الوطني) عرفت « بميثاق حمص » لم يشترك فيها الشيوعيون السوريون لانهم كانوا قد قرروا دخول الانتخابات الصورية التي اجراها الشيشكلي وقوطعت من قبل الهيئات السورية كافة . اما على الصعيد العسكري فقد نظم ضباط البعث من صغار الرتب انقلابا للاطاحة باديب الشيشكلي برغم وجود اثنين من كبار ضباطهم خارج الجيش (المالكي وقنوت) ساعدهم في ذلك ازدياد النقمة الشعبية على حكم الشيشكلي بسبب الفضائح والسرقات التي كانت تتم بصورة يومية وشبه علنية . وبدأ خصوم الشيشكلي في جبهة واحدة يتسابقون لقلبه كل لحسابه . ففي حين كان حزب الشعب يتصل ببعض كبار الضباط المؤيدين له كفيصل الاتاسي وعمر خان تمر وغيرهما لتهيئة انقلاب عسكري تكون الغاية منه اقامة اتحاد مع العراق ، كان الضباط البعثيون هم بدورهم يهيئون انقلابا لحسابهم . حتى كان ليل ٢٧ ـــ ٢٨ شباط ١٩٥٤ موعد الانقلاب البعثي على الشيشكلي .

بدأ به مصطفى حمدون (الرئيس آنذاك وقائد سرية المشاة في حلب) وكان معاونه الملازم محمد عمران ، فاحتلت سرية حمدون الاذاعة ومن هناك صدر البلاغ الاول من راديو حلب بهذه العبارة :

والعسكري . ففي داخل سوريا تسلم الضباط البعثيون مفاتيح القوة المتحركة في الجيش . عدنان المالكي اعيد وسلم رئاسة العمليات والشعبة الثالثة ، وعبد الغني قنوت ترأس كتيبة الدبابات . كما ابعد الضباط الكبار المعروفون بعدائهم او قلة صداقتهم للبعث . وعلى الصعيد المدني نجح ٩٠ بالمئة من مرشحي حزب البعث في انتخابات ١٩٥٤ التي جرت على اساس دستور ١٩٤٩ بعدما نصب هاشم الاتاسي (الشعب) رئيسا للجمهورية وكلف صبري العسلي (الحزب الوطني) برئاسة الوزارة . لكن انتصار البعث لم يدم طويلا ، اذ من اليوم الاول عارض عفلق والحوراني الاشتراك في الوزارة كما طالب «ميثاق حمص» بلسان حزب الشعب بابعاد مصطفى حمدون



خالد بكداش : ماركسية من دون وحدة

«هنا الرئيس مصطفى حمدون يخاطبكم» ـــ وكان اول الضباط المؤيدين أمين الحافظ آمر سرية مشاة درعا ثم تجاوب الضباط البعثيون المعسكرون في جبل الدروز لنداء رفيقهم وكان بينهم عدنان حمدون (شقيق مصطفى) وكنعان جديد ومحمد هواش فاعتقلوا رؤساءهم وابلغوا الشيشكلي بواسطة رسول انهم زاحفون لاحتلال دمشق اذا لم يغادر البلاد . وكان عفلق والحوراني والبيطار قد عادوا الى سوريا ووقفوا مع زملائهم أعضاء جبهة « ميثاق حمص » .

بسقوط اديب الشيشكلي بدأ العصر الذهبي لحزب البعث في سوريا وفي خارجها على الصعيدين المدني

بطل الانقلاب . ولما علم ضباط البعث بمحاولة طرد زميلهم اجتمعوا في بيت عبد الغني قنوت وقرروا القيام بانقلاب عسكري يطيحون به بالوزارة وبالعهد الجديد . وعندما استشاروا اكرم الحوراني بالامر عارضهم وطلب من مصطفى حمدون ان ينفذ الامر ويسافر . وبالفعل ، الحق مصطفى حمدون في كلية الاركان في مصر في اواخر تشرين الاول ١٩٥٤ .

وصلت اصداء الانتصار البعثي السوري الى خارج سوريا حيث كانت خلايا البعثوفروعه قد اتسعت وانتشرت وسط الجو الطلابي وبين بعض فئات



عفيف البزري : شيوعي بالتحالف

المثقفين في الاردن ولبنان والعراق . فنزلت هي بدورها الى الشارع تنظم المظاهرات وتقود الاضرابات ضد المعاهدات الاجنبية في البداية (معاهدة الدفاع المشترك) ثم ضد مشروع حلف بغداد ، حيث كون البعثيون مرة ثانية مع الشيوعيين ومع عناصر القوميين العرب النامية وبعض المستقلين التقدميين جبهة عرفت « بجبهة مقاومة الاحلاف العسكرية » . ورفعوا شعار الحياد وعدم الدخول في المعسكرات الدولية . وسجل البعث خارج سوريا من الفترة الممتدة من ١٩٥٤ الى ١٩٥٨ انتصارات لا باس بها . ففي الاردن وصل بعض مرشحيهم الى الندوةالنيابية (من ابرزهم عبدالله الريماوي وكمال ناصر وعبدالله النعواس) ومن ثم الى الوزارة — عبدالله الريماوي — كما ساهموا في الحملة الشعبية لتعريب الجيش الاردني وطرد غلوب باشا والغاء المعاهدة البريطانية — الاردنية في ما بعد . اما في لبنان فقد انتشر البعث انتشارا ساحقا في صفوف الطلاب والمعلمين وامتد الى مناطق جديدة لم تكن ضمن اطار وجوده السابق (منطقة البقاع ومدينة طرابلس بصورة خاصة) واشترك مع الشيوعيين والتقدميين الجنبلاطيين في مقاومة دخول لبنان في حلف بغداد ، وفي معارضة عهد شمعون وسياسته الخارجية بصورة عامة .

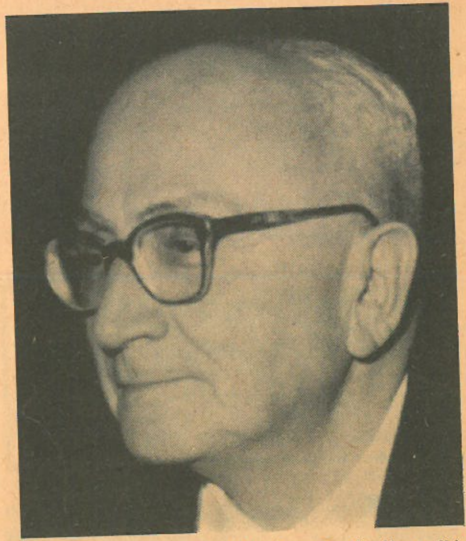
وقد وصل عدد اعضاء البعث في لبنان في هذه الفترة الى عشرة آلاف عضو ونيف — كما بلغ في سائر الاقطار العربية المئة الف عضو . وبعض قدامى الحزب يقولون ان الرقم وصل في سوريا وحدها الى ما يزيد عن الخمسين الفا عدا الاصدقاء والمحبذين والحلفاء . ومن دون مبالغة يمكن القول ان السنوات ٥٤ — ٥٥ — ٥٦ — ٥٧ — كانت مرحلة البعث في جميع الاقطار العربية سلبا وايجابا .

ليلة قامت مجموعة «الضباط الاحرار» في مصر بانقلاب ٢٣ يوليو — تموز — ١٩٥٢ كان زميلهم الضابط السوري اديب الشيشكلي قد سبقهم الى ممارسة اول حكم عسكري ديكتاتوري ببعض الاقنعة المدنية . وامتازت علاقة حكم ٢٣ يوليو بحكم الشيشكلي في سوريا بالمودة والتفاهم والتعاطف . وحينما اشتدت المعارضة في داخل سوريا لحكم الشيشكلي سافر هذا الى القاهرة في خريف ١٩٥٣ بدعوة رسمية من محمد نجيب رئيس مجلس الثورة آنذاك ونائبه البكباشي عبد الناصر .

ولقي الديكتاتور السوري ترحيبا حارا وتكللت زيارته بالنجاح .

على اثر عودته الى سوريا قسى حملته ضد البعثيين ، فحاولوا الاطاحة به عسكريا كما اشرنا . لكن المحاولة فشلت واضطر الاساتذة الثلاثة الى الهرب من سوريا الى لبنان فروما . وفي ايطاليا كانت اخبار مصر ترد حاملة انباء تصفية الاخوان المسلمين ثم حزب الوفد كمقدمة لتصفية سائر الاحزاب . ووقف البعث، موقفا ايجابيا من هذين الحزبين وشن حملة عنيفة على « الحكم الديكتاتوري العسكري في مصر » .

وتصاعدت علاقات الخصومة والجفاء . حتى ليلة ٢٧ — ٢٨ شباط ١٩٥٤ (تاريخ انقلاب مصطفى حمدون على الشيشكلي في حلب) ، اذ هاجمت اذاعة « صوت العرب » الانقلاب البعثي ووقفت موقف الدفاع عن اديب الشيشكلي . ورد البعث على هذا الموقف العدائي بتسيير مظاهرات كبرى في دمشق وحلب تستنكر اعدام الاخوان المسلمين في مصر وتطالب باعادة الحريات للاحزاب . كما نقل البعث في ما بعد صوت احتجاجه الى داخل مجلس نواب ١٩٥٤ الذي اتخذ تحت ضغط البعث وحلفائه قرارا شبه اجماعي باستنكار اعدام الاخوان المسلمين في مصر وتصفية الاحزاب الاخرى .



خالد العظم : يسار اليمين

ومن المصادفات الطريفة ان مصطفى حمدون بطل الانقلاب على الشيشكلي اشترك بنفسه في توزيع المناشير ضد اعدام الاخوان المسلمين حين نقل الى كلية الاركان في القاهرة .

اطلت سنة ١٩٥٥ واطل معها على سوريا وعلى المنطقة العربية حدثان بارزان . الاول ولادة مشروع حلف بغداد الذي خطط له نوري السعيد وعدنان مندريس بالاتفاق مع الغرب لضرب النفوذ الشيوعي واقامة ما سمي آنذاك «بالحزام الواقي» ضد الاتحاد السوفياتي . والثاني حادث اغتيال عدنان المالكي وتصفية القوميين السوريين في داخل سوريا ثم زيارة توفيق نظام الدين رئيس اركان الجيش السوري الى موسكو واتمامه عقد اول صفقة سلاح مع تشيكوسلوفاكيا كاسرا بهذا العمل طوق الحصار العسكري الغربي للعرب . وقد حاولت مصر في بداية الامر التفاهم مع بغداد . وكانت زيارة صلاح سالم واجتماع سرسنك الشهير الذي يبدو انه انتهى الى الفشل، مما اضطر مصر بناء لاستراتيجية قديمة ومحورية تكتيكية طارئة ان تمد يدها لسوريا التي كانت آنذاك معارضة كل المعارضة لحلف بغداد وغيره من المشاريع والمخططات الاجنبية . وهكذا بدأ شهر العسل بين البعث وعبد الناصر الذي نتج عنه في جملة ما نتج معاهدة الدفاع العسكرية التي شملت كلا من الاردن والسعودية بالاضافة الى مصر وسوريا في محاولة من القاهرة لعزل بغداد واظهارها بمظهر الدولة العربية الوحيدة التي خرجت عن مبدأ الاجماع العربي .

وشهدت هذه الفترة لمعان نجم البعث في سوريا حيث توصل الى عزل كبار الضباط المعادين له وتشكيل « جبهة وطنية » ضمت في ما ضمت الشيوعيين والحزب الوطني وبعض المستقلين . كما شهدت في الاردن طرد غلوب باشا وقفزة علي ابو نوار الى قيادة الجيش وتبوؤ عبدالله الريماوي احد اقطاب البعث الاردني منصب وزير دولة للشؤون الخارجية في وزارة سليمان النابلسي . اما في لبنان فقد دخل البعث والشيوعيون والقوميون العرب والجنبلاطيون والمستقلون في جبهة عرفت بجبهة « الاتحاد الوطني » وكانت غايتها محاربة دخول لبنان في حلف بغداد وجره الى « المعسكر التحرري » معسكر الرياض — عمان — دمشق — القاهرة .

بعد تصفية القوميين السوريين ونجاح صفقة الاسلحة مع المعسكر الاشتراكي صفا الجو للبعث داخل سوريا فاعاد جميع ضباطه (ومن بينهم حمدون من القاهرة) وزاد من تقاربه مع الشيوعيين وعبد الناصر ووضع صيغة اتحاد فدرالي مع مصر بموافقة الحزب الوطني والشيوعيين وبعض المستقلين . لكن حزب الشعب الذي كان من دعاة الوحدة مع العراق عارض الصيغة وهدد بالخروج من التجمع . وبعد مفاوضات مطولة وافق الطرفان — البعث والشعب على ان توضع في البيان الوزاري عبارة « والعمل لقيام اتحاد مع الدول العربية

وفي طليعتها الشقيقة الكبرى مصر !!! »
مستقلة عن البيان الرسمي ، ولدى تلاوتها يوافق عليها مجلس النواب بالاجماع . وهكذا كان ، وفي مطلع صيف ١٩٥٦ شكل صبري العسلي حكومة جديدة مثل البعث فيها صلاح البيطار كوزير للخارجية وكان مكلفا من الحزب بوضع صيغة الوحدة الفدرالية مع مصر، ومخولا كذلك بمفاوضة الاطراف المشتركة في الوزارة . وكما يروي البيطار فقد عرض صيغة مشروعه على مجلس الوزراء فوافق عليه بحضور رئيس الجمهورية آنذاك شكري القوتلي وكلفه مجلس الوزراء بالسفر الى مصر وعرض مشروعه الوحدوي على المسؤولين فيها .

لكن ما ان كاد مجلس الوزراء السوري والبيطار يستعدان لطرح الحوار الوحدوي مع مصر حتى كان ٢٣ تموز ١٩٥٦ وقرار الرئيس عبد الناصر المفاجىء بتاميم قناة السويس . ثم عقب ذلك العدوان الثلاثي قبل آخر الصيف وما جر معه وترك وراءه من ذيول ومضاعفات . فتأجل سفر صلاح البيطار بعدما اعتمدت سوريا آنذاك المحافظة على سياسة التضامن العربي تاييدا لمصر كضرورة ملحة وذات اسبقية على موضوع الاتحاد خاصة ان الاردن والسعودية كانتا غير واردتين في مشروع الاتحاد .

ما كادت آثار العدوان الثلاثي تزول او تزال عسكريا واقتصاديا حتى كانت واشنطن بلسان رئيسها آنذاك الجنرال ايزنهاور تتقدم بمشروع اسمي هو « مشروع ايزنهاور » لملء الفراغ في الشرق الاوسط . وقد وافقت عليه كل من حكومات الرياض وعمان بعد بيروت. اذ ذاك راى البعث السوري ان مهمته الرئيسية لم تعد « التضامن العربي » وعدم الاساءة الى الاردن والسعودية بل الاسراع في مفاوضات الوحدة مع عبد الناصر الذي كان اذ ذاك قد كسب على الصعيد المعنوي ما فقده على الصعيدين العسكري والاقتصادي . وخرج حزب الشعب من « التجمع الوطني » بعد مؤامرة « ستون » الشهيرة ولم يعد في الواجهة الا البعث متحالفا مع الحزب الوطني ، والشيوعيون متحالفين مع خالد العظم بصورة ثنائية ومع البعث بصورة عامة .

دور الضباط : الطريق الى الوحدة



عبد الحميد السراج : حكم المكتب الثاني

كان الجيش السوري ــ الذي سيلعب الدور الرئيسي في تنفيذ الوحدة مع عبد الناصر وكذلك في انهائها بعد ثلاث سنوات ــ مكونا من ثلاث فئات او كتل .

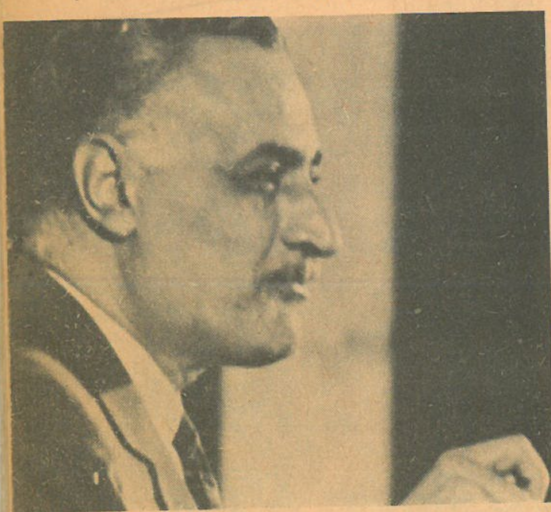
١ ــ كتلة الضباط « الشوام » اي الدمشقيين وهم في الغالبية من ابناء الاسر البورجوازية والعائلات العريقة ومن ابرزهم العقداء حسن العابد، محمد قباني ، عبد الرحمن مردم ، سهيل العشي ، الذين يعطفون بنسب متفاوتة على حزب الشعب وعلى الوحدة مع العراق .

٢ ــ كتلة بقايا اديب الشيشكلي ومن ابرزهم : امين النفوري ، احمد عبد الكريم ، طعمة العودةالله ، احمد حنيدي .

٣ ــ كتلة الضباط البعثيين : ومن ابرزهم عبد الغني قنوت ، مصطفى حمدون ، عدنان حمدون ، بشير الصادق، امين الحافظ .

كان توفيق نظام الدين رئيسا لاركان الجيش وشكري القوتلي رئيسا للجمهورية يعاونه في أمانة القصر السيد فؤاد الحلبي الذي كان شديد العداء للبعث . وفي السادس من آذار ١٩٥٧ صدر قرار بنقل المقدم عبد الحميد السراج كملحق عسكري في الهند ، وكان السراج محسوبا من اصدقاء البعث دون ان يكون تابعا لتنظيمهم . وكان قرار السراج موحى به من فؤاد الحلبي وكتلة الضباط « الشوام » . وشعر البعثيون ان نقل السراج كان مقدمة لتصفية اصدقائهم ومن ثم الوصول الى تصفيتهم شخصيا. فتشاوروا في ما بينهم وقرروا استباق خطة الحلبي وضباط الشوام باعلان حركة عصيان في قطنا حيث كان يعسكر مصطفى حمدون ومجموعة من الضباط البعثيين الصغار . وبدا العصيان في الثالثة من بعد ظهر السابع من آذار . وابرق العصاة للقصر الجمهوري ولرئاسة الاركان منذرين بالزحف على دمشق واحتلال الاذاعة والقصر الجمهوري ورئاسة الاركان . وبعد مشاورات بين جميع الاطراف اقترح خالد العظم الذي كان وزيرا للدفاع ان يعقد اجتماع في بيته ليل ٧ ــ ٨ آذار . وعقد الاجتماع بحضور جميع الضباط ومثل تجمع البعثيين العصاة فيه مصطفى حمدون . واسفر عن تجميد نقل السراج والضباط الموالين للبعث وتشكيل مجلس قيادة من ٢٤ ضابطا من بينهم : عفيف البزري (الذي كان عائدا من باريس) ، احمد عبد الكريم ، أمين النفوري ، عبد الغني قنوت ، مصطفى رام حمدان ، جمال الصوفي ، بشير الصادق ، مصطفى حمدون ، أمين الحافظ ، عبد الحميد السراج ، عبدالله الجسومة ، ياسين الفرجاني ، ابراهيم فرهود .

وعلى اثر هذه الاجتماعات اعفي توفيق نظام الدين من رئاسة الاركان كما ابعد وسرح ضباط كتلة الشوام وتسلم عفيف البزري رئاسة الاركان ومصطفى حمدون رئاسة الشعبة الاولى . وصار أمين النفوري معاونا لرئيس الاركان واحمد عبد الكريم في الشعبة الثالثة .

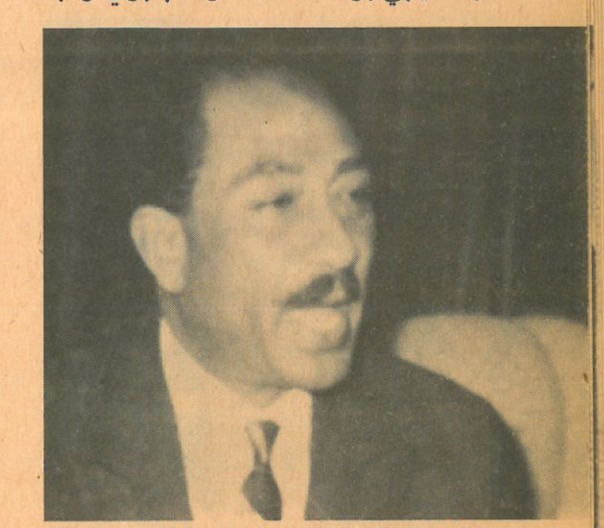


جمال عبد الناصر : وحدة من دون بعث

وابقي عبد الحميد السراج في الشعبة الثانية . اذن كانت حصة الاسد في التشكيلات الجديدة لضباط بقايا اديب الشيشكلي (النفوري ، وعبد الكريم والسراج) وحصتان متوازيتان للشيوعيين (البزري) وللبعثيين (حمدون) .

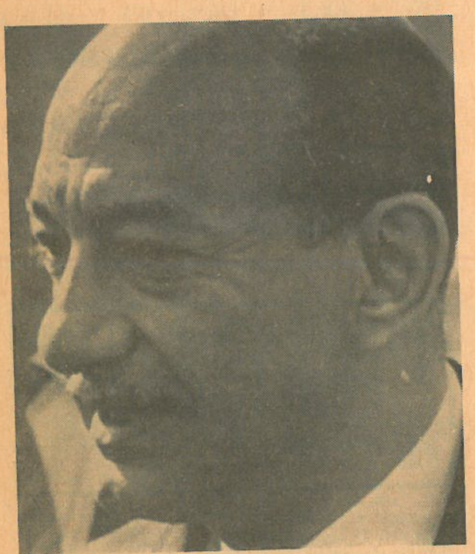
تسلم عفيف البزري رئاسة الاركان وكان ذا نزعة ماركسية اكتسبها في اثناء دراسته في فرنسا . وبدا باستمالة مجموعة ضباط بقايا الشيشكلي ــ اي النفوري وعبد الكريم والحنيدي وجاد وعز الدين ــ ليواجه بهم تجمع ضباط البعث . ووصل الحوار بين الشيوعيين والبعث الى خارج صفوف الجيش حيث كان تحالف خالد بكداش وخالد العظم قد صار حقيقة واقعة مما اضطر حزب البعث الى مقاطعة الانتخابات البلدية

التي كانت مقررة في خريف ١٩٥٧ خشية سيطرة الشيوعيين وحلفائهم عليها . ومقابل ذلك زادت خطى التقارب الوحدوي بين البعث وعبد الناصر . وقد زار دمشق في السنة نفسها وفد برلماني مصري برئاسة انور السادات . ولدى اجتماعه باكرم الحوراني الذي كان يومذاك رئيسا لمجلس النواب السوري فاتحه الحوراني بفكرة قيام وحدة بين سوريا ومصر . وكان رد السادات سلبيا واعدا اياه وزملاءه السوريين باطلاع الرئيس عبد الناصر على الامر . وبعد فترة قصيرة قررت الحكومة السورية رد الزيارة البرلمانية الى مصر . فسافر وفد نيابي برئاسة احسان الجابري وعبد


انور السادات : حزبية الاتحاد القومي

الكريم زهور حيث قابلوا الرئيس عبد الناصر وكرروا عليه عرض الوحدة . ولم يلقوا من الرئيس المصري حماسا للموضوع بل عدد لهم العراقيل والفوارق الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية بين البلدين .

وفي السنة نفسها زار سوريا وفد عسكري مصري برئاسة اللواء حافظ اسماعيل ممثلا للقيادة العسكرية المشتركة التي كانت قائمة بين البلدين . وفي احد الاجتماعات طرح عليه خالد العظم وعفيف البزري مشروع وحدة عسكرية بين البلدين ، فاستغرب اللواء المصري وأجابهما قائلا : انا قادم لتوحيد الرتب والمصطلحات العسكرية واظن ان موضوع الوحدة الان غير عملي وغير واقعي .
وبعد هذه المقابلة عقد اجتماع في وزارة الدفاع حضره خالد العظم وعفيف البزري ومصطفى حمدون وامين النفوري اطلع فيه البزري الضباط على جواب زميلهم المصري بعدم قبول الوحدة العسكرية . وعلى الاثر طالب الضباط البعثيون وحلفاؤهم بمقابلة سريعة مع عبد المحسن ابو النور ممثل القيادة العربية المشتركة . ولدى اجتماعهم به امهلهم اربعا وعشرين ساعة ليتصل بالمسؤولين في القاهرة . وجاءهم بعد المهلة المحددة الجواب نفسه — « مصر غير موافقة على الوحدة في الوقت الحاضر » .
ولدى هذا الاصرار السلبي من جانب القاهرة قام صلاح البيطار الذي كان وزيرا للخارجية ببادرة شخصية فدعا محمود رياض السفير المصري آنذاك وعبد المحسن ابو النور ضابط القيادة المشتركة وسألهما عن حقيقة موقف القاهرة من موضوع الوحدة المقترحة . فصارحه محمود رياض بأن الرئيس عبد الناصر غير متحمس للوحدة لانه يخشى من انقلاب عسكري يقوم به هؤلاء الضباط ضد الوحدة ، وبالتالي فان القضية الاساسية هي وجود هؤلاء الضباط المتسيسين في صفوف الجيش ثم وجود الاحزاب بشكلها الحاضر .
وفي اليوم التالي استدعى صلاح البيطار الضابطين النفوري وعبد الكريم وقال لهما بصراحة :
« الوحدة امانة في اعناقكم انتم وزملاءكم ، وعليكم ان تثبتوا ذلك للرئيس عبد الناصر وينتهي الاشكال » .
وصبيحة يوم ٤ شباط ١٩٥٨ كان ١٤ ضابطا من ممثلي مجلس القيادة يركبون طائرة عسكرية خاصة متجهين الى القاهرة لمقابلة الرئيس عبد الناصر — من بينهم مصطفى حمدون ، عبد الغني قنوت ، أمين الحافظ ، بشير الصادق (بعث) ، جمال الصوفي ، عبد الحميد سراج ، طعمة العودةالله ، جادو عز الدين ، اكرم ديري ، محمد النسر ، عبدالله الجسومة ، عفيف البزري (مستقلين قوميين) . وانزلوا في قصر « الطاهرة » . وجاء المشير عبد الكريم عامر لمقابلتهم لان الرئيس عبد الناصر كان آنذاك مشغولا بضيفه أحمد سوكارنو . ولدى اجتماعهم بالمشير كرروا على مسامعه الكلام نفسه الذي قالوه من قبل لانور السادات وحافظ اسماعيل وعبد المحسن ابو النور . وكان جواب المشير على غرار الاجوبة السابقة — ان شروط الوحدة غير متوافرة حاليا وان الامور يجب ان تأخذ الوقت الكافي . وغضب الضباط السوريون من سلبية المشير وطالبوا بالاسراع في مقابلة عبد الناصر . وبعد مرور يومين استقبلهم الرئيس عبد الناصر في بيته في منشية البكري . في اول الجلسة كان كلام الرئيس المصري هو الكلام نفسه الذي سمعوه من رسله وموظفيه السابقين لكن حماسهم تزايد واصروا على عدم الخروج من عنده الا والوحدة قائمة .
وهنا تلفت الرئيس عبد الناصر ناحية مصطفى حمدون وخاطبه قائلا : « بس احنا مش عايزين احزاب وانقلابات عسكرية يا حمدون ؟؟ فأجابه مصطفى حمدون : « لا استطيع سيدي الرئيس ان اتكلم باسم حزب البعث لانني غير مخول بذلك . والاستاذ صلاح البيطار قادم الى هنا من دمشق ومعه تفويض من الحزب» .
وبعد اربع وعشرين ساعة وصل صلاح البيطار حاملا معه مشروع وحدة شبه فدرالية ، ولا مركزية النظام وقرارا بحل حزب البعث اتخذته القيادة القومية في دمشق (عفلق — الحوراني — البيطار — الريماوي) وقرارا آخر بانضمام اعضاء الحزب الى الاتحاد القومي (التنظيم المرخص به في مصر) .
ويروي الاستاذ صلاح البيطار انه لدى اجتماعه بعبد الناصر صارحه هذا الاخير بانه اذا وافق على الوحدة فهو يريدها وحدة كاملة لا اتحادا . وانه يشترط توحيد القيادة السياسية وحل الاحزاب.
وخرج البيطار من الاجتماع ليبلغ ضباط القيادة السوريين في قصر « الطاهرة » ما سمعه من الرئيس عبد الناصر . وفوجىء بأن عفيف البزري الذي كان من دعاة الاتحاد الفدرالي يتحمس ويزايد على ضباط البعث في الموافقة على الوحدة الكاملة وليس على الاتحاد ، في حين كان الشيوعيون البكداشيون في سوريا يعارضون قيام الوحدة ويضعون المقترحات لقيام اتحاد فدرالي أو كونفدرالي بين البلدين . وقد ثبت في ما بعد ان البزري لم يكن عضوا منضويا تحت لواء حزب بكداش بل كان ماركسيا مستقلا .


محمود رياض : السفير الاول لمصر


وزارة الوحدة الاولى : من صبري العسلي الى عبد الحكيم عامر

قيام الوحدة: سقوط البعث



عبد الحكيم عامر : المندوب السامي في دمشق

قامت الوحدة السورية ــ المصرية في ٢٢ شباط ١٩٥٨ دون ان يتمكن البعث من توضيح دراساته ومقترحاته بشأن نظام الوحدة السياسي والاقتصادي والاجتماعي . وكان لقرار الحل مضاعفاته البعيدة والخطرة على واقع الحزب ومستقبله . فقد عارضت جميع الفروع والاقطار البعثية خارج سوريا قرار الحل . وكان في طليعتها البعث اللبناني الذي ارسل مذكرة مطولة وتاريخية في هذا المعنى محملا الاساتذة الاربعة مسؤولية هذا « الخطأ التاريخي » . كذلك كان موقف البعث الاردني والبعث العراقي وطلائع البعث المصري الذي كان لا يزال جنينا « في بعض اوساط المثقفين من اساتذة جامعات (د. احمد مختار وعبد العزيز الاهواني) وبعض الصحفيين والشعراء ــ (صلاح عبد الصبور ، رجاء نقاش ، واحمد عبد المعطي حجازي) .

وفي داخل سوريا شعر البعث بفداحة خطأه منذ اليوم الثالث لقيام الوحدة اذ فوجيء الضباط البعثيون بقرارات توزيرهم وابعادهم خارج سوريا بالعشرات وبالمئات بناء لرغبة المشير عامر . ووراء هذه القصة حادثة طريفة.

سبق واشرت الى التناقض بين مجموعة عفيف البزري وخالد العظم وضباط بقايا الشيشكلي ومجموعة ضباط البعث ، منذ خريف ١٩٥٧ والفترة التي تلت حتى قيام الوحدة . وعلى ما يبدو فقد اعد عفيف البزري قرارات بنقل وتسريح عدد من الضباط البعثيين قبل قيام الوحدة . ووصلت اسماء هؤلاء الضباط الى الشعبة الثانية التي كان يرئسها عبد الحميد السراج صديق مصطفى حمدون رئيس الشعبة الاولى . فاطلع عليها حمدون بحكم الصدفة والصداقة ورجا السراج ان يجمدها . وبعد قيام الوحدة جاء حمدون بنية طيبة وقلب صاف يشكو البزري الى المشير عامر . فطلب منه المشير أن يطلعه على لائحة الضباط البعثيين ليرقيهم ويعطيهم حقهم . واتاه حمدون باللائحة . واذا بالمشير في اليوم التالي ينقل ويبعد ويسرح جميع الضباط البعثيين بالاتفاق مع عفيف البزري . فثارت ثائرة الضباط البعثيين وعقدوا اجتماعا عاجلا في بيت عبد الغني قنوت قرروا فيه القيام بانقلاب وانهاء الوحدة بعد ثمانين ساعة على قيامها . واتصلوا باكرم الحوراني يبلغونه قرارهم . فكان جواب الحوراني لحمدون « تيسروا وامشوا » . يقصد أطيعوا الاوامر .

طالبت فروع البعث ومنظماته خارج سوريا بعقد مؤتمر قومي استثنائي لبحث موضوع حل الحزب ومحاسبة المسؤولين عن هذا القرار . وقد تزعم عبدالله الريماوي ــ الاردني ــ هذه الدعوة مستفيداً من حل الحزب داخل سوريا مما يعني ان الاساتذة الثلاثة انداده عفلق والحوراني والبيطار لن يحضروا وبالتالي فستكون الفرصة ذهبية أمامه . لذلك طالب صراحة بعدم شرعية حضور أي مندوب سوري للاجتماع المقترح . لكن التيار الغالب في صفوف البعث خارج سوريا لم يكن ريماويا ــ كما سيتبين في ما بعد . بل كان مستاء من حل الحزب ومعترضا على الطريقة التي تمت بها الوحدة . وقد تنبه عفلق لمناورة الريماوي فأوعز بتشكيل « لجنة تنظيمية » عوضا عن المؤتمر القومي المقترح ، عقدت اجتماعاتها في دمشق وقد مثل بعث لبنان فيها علي جابر وجبران مجدلاني (من انصار عفلق) ، وعن الاردن حسني الخفش وعبدالله الريماوي وعن بعثيي مصر محمد خير الدويري (اللبناني) ، وعن الطلاب في اوروبا عاطف دانيال . وكانت غاية « اللجنة التنظيمية » التحضير لمؤتمر قومي ينظر في قرار الحل وفي قيام الوحدة وغير ذلك من المواضيع التي كانت مطروحة داخل سوريا وفي خارجها . واستمرت اللجنة التحضيرية في عملها حتى عقد المؤتمر القومي الثالث سنة ١٩٥٩ في بيروت وحضره عفلق والريماوي واثناء المؤتمر ظهر تياران الاول يدعو الى تعميم حل الحزب خارج سوريا ومصر وادماجه في الاتحاد القومي المصري تزعمه عبدالله الريماوي وتيار ثان يعتب على حل الحزب في سوريا ومصر ويطالب بالمحافظة على شخصية الحزب ووجوده خارج سوريا . وتزعم هذا التيار غالبية الوفود التي كانت في المؤتمر .. وفي نهايته سقط اقتراح الريماوي فانسحب من المؤتمر ومن الحزب مع مجموعة كبيرة من انصاره الاردنيين في طليعتهم حسني الخفش وبهجت ابو غريبه وغيرهم ولم يتخذ المؤتمر قرارا حاسما حول الوحدة وحول حل الحزب .

لم تمض سنتان على قيام الوحدة وحل حزب البعث حتى شعر قادة البعث بفداحة الخطأ الذي ارتكبوه يوم حلوا الحزب وسلموا رقابهم للاتحاد القومي . فداخل حكم الوحدة كانت العلاقات تسير من سيىء الى اسوأ بين وزراء البعث وبين حكم الرئيس عبد الناصر . فالخلافات تتكدس ، بدءا بنقل جميع وزراء البعث الكبار الى مصر (الحوراني والبيطار) الى مشروع تنظيم الاتحاد القومي وتطويره الذي كان مجرد ملهاة لا اكثر ، اذ اهملت الدراسات المطولة التي كان صلاح البيطار وكمال الدين حسين قد اعداها لتنظيم الاتحاد . وفي ليلة «ليس فيها قمر » صدرت قرارات تنظيم الاتحاد القومي خالية من اية مادة او اشارة لدراسات البيطار وحسين واجتهاداتهما. ثم جاء موضوع تحويل روافد نهر الاردن فاتسعت شقة الخلاف بين وزراء البعث وفي مقدمتهم اكرم الحوراني وبين الرئيس عبد الناصر الذي لاحظ منذ الوهلة الاولى نوعية وحدود العلاقات الشخصية التي تربط الاساتذة الثلاثة . فراح تارة يتحاشى مقابلة ميشال عفلق ويتودد لاكرم الحوراني ويقسو على صلاح البيطار وتارة اخرى يجافي اكرم الحوراني ويقرب صلاح البيطار وفي كل الحالات يتحاشى لقاء ميشال عفلق أو محادثته . وفي الوقت نفسه يزيد من تسلط مباحث عبد الحميد السراج على الشعب السوري ويوزر ويوظف ضباط بقايا اديب الشيشكلي (النفوري والديري والعودةالله وجاد وعز الدين) كبديل عن ضباط البعث الذين كانوا يحسبون انفسهم احق من اولئك بتسيير الحكم في سوريا وتصدر واجهة الحكم الوحدوي . حتى كانت مناسبة عيد النصر في مصر في اواخر (نوفمبر) تشرين الثاني ١٩٦٠ فاجتمع الحوراني وعفلق في بيت الاول في القاهرة حيث وضع عفلق بالاشتراك مع عبد الفتاح الزلط كتاب استقالة معللة من مئة صفحة يصفه الحوراني بأنه أدق وثيقة وأهمها عن حكم الوحدة . وبعد الفراغ من كتابته اتصل الاستاذان بزميلهما الثالث البيطار . فتردد في الاستقالة بادىء الامر ، لكنه عاد ووافق عليها شرط ان يصرف النظر عن الكتاب المعلل . ونزولا عند رغبته أحرق كتاب الاستقالة في موقد بيت الحوراني الذي كان مخصصا له في القاهرة . وحتى لا

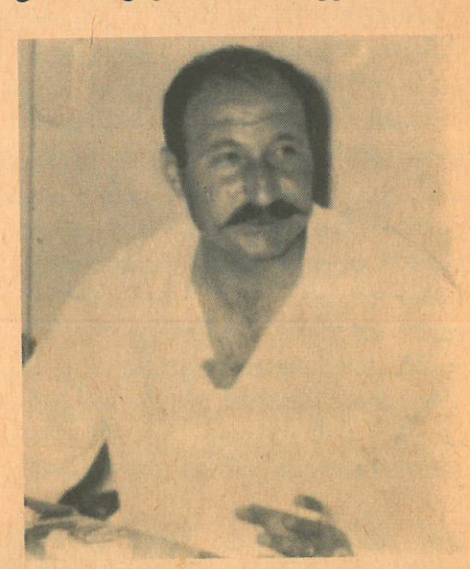
تصدر صحف القاهرة معلنة اقالة وزراء البعث بدل استقالتهم اقترح اكرم الحوراني ان يشارك هو والبيطار في احتفالات يوم النصر وتظهر صورهما الى جانب الرئيس عبد الناصر . وفي اليوم التالي يفاجئاه بالاستقالة وهكذا كان . واضطرت « الاهرام » و « الجمهورية » ان تنشرا استقالة وزراء البعث في اليوم التالي لاحتفالات عيد النصر .

وافق استقالة وزراء البعث من حكم الوحدة في اوائل ١٩٦٠ انعقاد المؤتمر القومي الرابع لحزب البعث في بيروت برئاسة ميشال عفلق . وكانت الغاية الرئيسية من عقد المؤتمر بحث الوضع في العراق والخطط اللازمة لمواجهة حكم عبد الكريم قاسم . لكن المؤتمر استعرض الوضع البعثي كله بصورة عامة واتخذ قرارا اعتبر فيه حل الحزب خطأ تاريخيا وقرر البدء في العمل للرجوع عن هذا القرار — الخطيئة . لكن اعادة بناء الحزب لم تكن عملية بقدر ما كانت نظرية مبدئية . فالحوراني خرج من الحكم بقناعة وعفلق والبيطار خرجا بقناعة مختلفة . ونتيجة للرقابة التي فرضها عبد الحميد السراج بالتشاور مع عبد الحكيم عامر على وزراء البعث المستقيلين تعذرت اللقاءات العلنية بين البعثيين القدامى الذين كانوا مشتتين ومبعثرين منذ ثلاث سنوات. ففي حين بدأ الحوراني نشاطه السري والعلني ضد حكم الوحدة استنادا الى المجموعات القديمة والجديدة التي كانت تؤمن بالولاء له وتشاطره الآراء ، كان البيطار ومعه عفلق ينتقدان نظام حكم الوحدة ويطالبان بتجديد الوحدة من الداخل وليس من الخارج . وفي محاولة اخيرة لرأب الصدع تقرر عقد اجتماعات اسبوعية بعد ظهر كل يوم جمعة في بيت الضابط المسرح عبد الغني قنوت للوصول الى رأي موحد حول الموقف الجديد من الوحدة ومن نظام عبد الناصر . ودارت مناقشات مطولة حول دور الحزب ومسؤوليته تجاه الوحدة وتجاه عبد الناصر وتجاه الجماهير ووفق الطرفان ظاهريا الى صيغة مشتركة تقضي اول ما تقضي بضرورة اعادة بناء الحزب بشكل سري خوفا من رقابة المباحث . لكن الاختلاف حول تجديد الوحدة وحول عبد الناصر استمر قائما بين الاساتذة الثلاثة . فالحوراني كان مقتنعا بضرورة الحفاظ على الشخصية السورية وتوحيد السياسة الخارجية والدفاع فقط ، في حين كان رأي عفلق والبيطار عدم فك الوحدة مع مصر والنضال من اجل اقناع عبد الناصر بضرورة تغيير اساليبه وهيكل النظام العام في سوريا وفي مصر بالوسائل السلمية .

لم تحسم اجتماعات نهار الجمعة في بيت عبد الغني قنوت الموقف بين مختلف تيارات بقايا البعث . وكان عفلق قد غادر سوريا الى بيروت كاحتجاج على ما وصلت اليه الحالة في سوريا . وكانت الوحدة قد دخلت عامها الثالث . وكمحاولة نهائية لرأب الصدع والبدء بنشاط الحزب الجديد السري ، تقرر عقد اجتماع للقيادة القومية البعثية في فيلا الصنوبر في مصيف برمانا في جبل لبنان وذلك في منتصف شهر ايلول ١٩٦١ . وتم الاجتماع وحضره صلاح البيطار وعبد الغني قنوت (ممثلا الحوراني) عن سوريا ، وفيصل الخيزران عن العراق ، وغسان شرارة وخالد يشرطي عن بعثيي لبنان . ودرس المؤتمرون ما وصلت اليه الحال في سوريا وتداولوا في ما بينهم حول افضل الحلول لاصلاح ما يمكن اصلاحه . وفي اثناء اجتماعاتهم وصل الى برمانا موفد جزائري يدعى السيد محمد اليوسفي من قبل بن بلا عارضا عليهم باسم بن بلا التوسط بينهم وبين الرئيس عبد الناصر لاعادة توحيد الصفوف والحفاظ على الخط الاشتراكي . وقد استقبل المؤتمرون الموفد ورحبوا ببادرته وظنوا ان وراء البادرة تحولا في سياسة القاهرة نحوهم واستبشروا بامكانية عودة المياه الى مجاريها . ثم ودعهم الموفد الجزائري قاصدا القاهرة لاتمام مهمته . لكن تردي الاوضاع في داخل سوريا كان قد وصل الى نقطة اللارجوع . وبينما كان قادة البعث ينتظرون جواب القاهرة على وساطة بن بلا فاجأهم راديو دمشق صبيحة الثامن والعشرين من أيلول باذاعة البيان رقم واحد معلنا « قيام الانتفاضة المباركة وانهاء حكم الوحدة والتسلط المصري » عازفا النشيد الوطني السوري الذي لم يكن سمع منذ ثلاث سنوات وبضعة اشهر .

بسقوط الوحدة التي نذر البعث نفسه من اجلها قويت داخل صفوف الحزب

النزعة الاقليمية بسبب تجارب حكم الوحدة وروح التسلط التي كانت تبدر من الموظفين المصريين في سوريا . وكان عفلق ما زال مقيما في بيروت فقرر بناء للاوضاع الجديدة الدعوة الى اجتماع استثنائي للقيادة القومية في بيروت حضره : عفلق ، خالد يشرطي ، علي جابر ، عبد الرحمن منيف (السعودية)، فيصل حبيب خيزران ، طالب شبيب (العراق) ، غسان شرارة ، غالب ياغي (لبنان) واعتبروا فيه الانفصال أمرا واقعا محملين القاهرة وعبد الناصر مسؤولية سقوط الوحدة . لكن عفلق لم يوافق على تحميل عبد الناصر مسؤولية الانفصال ووقف معه عضو واحد من



خالد الجندي : حكم العمال والفلاحين

القيادة القومية هو خالد يشرطي (فلسطيني) .

اما في داخل سوريا فكان الموقف مختلفا تمام الاختلاف . فبعد ان ايد اكرم الحوراني وصلاح البيطار الانفصال على الوثيقة الشهيرة (ثم عاد البيطار وتراجع عن موقفه تحت ضغط قواعد الحزب) وقفت مجموعة ثانية الي جانب الحوراني مؤيدة الانفصال وعازمة على الدخول في جبهة مشتركة مع الشيوعيين وغيرهم من العناصر التقدمية بينما تجاوبت مجموعة بعثية ثانية كانت تعرف « بكتاب جريدة البعث » ومن ابرز أعضائها جمال الاتاسي ، عبد الكريم زهور ، صلاح البيطار ، والوليد ابي طالب ، شبلي العيسمي — تجاوبت مو موقف عفلق بضرورة تجديد الوحدة مع عبد الناصر شرط توافر ما سموه « الضمانات الديموقراطية » وفي مقدمتها السماح لحزب البعث بمزاولة نشاطه مجددا . كما برزت على سطح الحزب .مجموعة ثالثة كانت تعرف « بالقطريين » من عناوينها مصلح سالم ، منير العبدالله ، خالد الجندي ، فايز الجاسم ، سليمان الخش ، مؤيدة اكرم الحوراني مبدئيا من حيث رفضها تجديد الوحدة ، معلنة في الوقت نفسه استقلاليتها الكاملة عن عفلق والبيطار والحوراني مطالبة بتجديد الحزب وابعاد هؤلاء الاساتذة التاريخيين . وكان هناك تعاطف بين هذه المجموعة وتنظيم الضباط الذي برز للمرة الأولى على المسرح السوري في حوادث اذار ١٩٦٢ .

تجاه هذه البلبلة والتناقض ، دعا عفلق الى مؤتمر قومي عرف بالمؤتمر القومي الخامس او مؤتمر حمص غاب عنه اكرم الحوراني و« القطريون » . ولسيطرة الحورانيين والقطريين على البعث داخل سوريا غاب البعث السوري باستثناء الامين العام عفلق . وكانت جميع وفود البعث مؤيدة وجهة نظر عفلق باستثناء البعث اللبناني الذي رفض شعار « تجديد الوحدة مع عبد الناصر » .. وخرج المؤتمرون بقرارات اساسية وخطرة من أبرزها : الموافقة على تجديد الوحدة مع عبد الناصر ، وتكليف لجنة من حمدي عبد المجيد (عراقي) ، هاني فكيكي (عراقي) ، علي صالح السعدي (عراقي) ، شبلي العيسمي (سوري) ، الوليد طالب (سوري) ، باعادة تنظيم الحزب في سوريا .

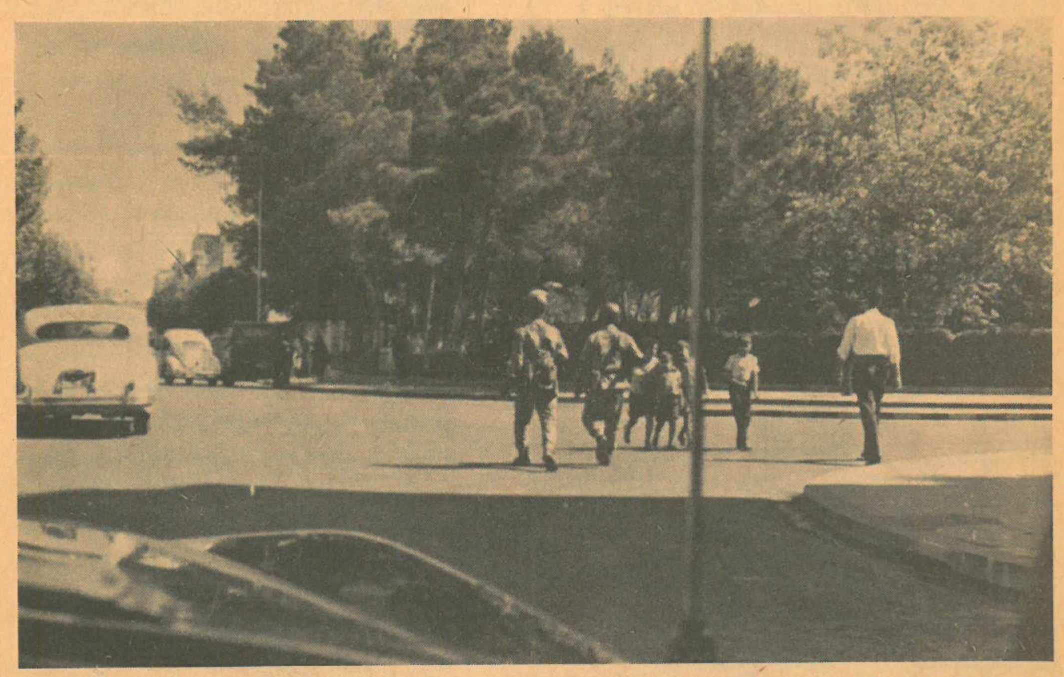
وبهذه القرارات دخل البعث في مرحلة جديدة وصعبة تميزت بغياب اكرم الحوراني الذي رفض قرار اعادة الوحدة مع عبد الناصر واعتبره « قرارا سخيفا وغير وطني » . ومضى في حربه على عبد الناصر وعلى نظامه متوجا تلك الحملة بتصريحه الشهير لميشال ابوجوده والذي نشر في « النهار » : بأن عبد الناصر لا وحدوي ولا اشتراكي .

على الصعيد البعثي اللبناني كانت العلاقات قد ساءت بين شباب القيادة القطرية للحزب في لبنان وبين الامين العام عفلق اثناء اقامته في بيروت . وبسبب سوء التفاهم او الجفاء ان شباب

القيادة القطرية في لبنان (غسان شرارة وفؤاد ذبيان وعبد الوهاب الشميطلي وحسيب عبد الجواد) كانوا مقتنعين بضرورة توعية قواعد الحزب وشرح موقفهم من فشل الوحدة وكارثة الانفصال حتى لا تبلد همة البعثيين الصغار امام الدعايات المصرية وحتى يقوموا بواجبهم الحزبي كقيادة مسؤولة ، وكما يروي بعض اقطابهم ، فان اجتماعاتهم كانت تتم دائما بحضور عفلق وحين تنتهي الجلسة يقترح الشباب ان يصاغ بيان او منشور حزبي داخلي ليوزع على الاعضاء . وكان دور عفلق صياغة هذه البيانات الحزبية . لكنه كان يتأخر في صياغة البيانات المنتظرة ويفاجيء القطريين اللبنانيين بعد اسابيع عدة بعدم كتابة حرف واحد من البيان . وتتجدد المناقشات ويصر الشباب على ضرورة وضع بيان ويصر عفلق على ضرورة صياغته بيده لا بيد غيره . وينتهون بالنتيجة نفسها — لا بيان ولا خطوط عريضة للبيان . وبسبب فارق السن او ربما بسبب مزاجية عفلق وحيرته الذهنية في تلك الظروف العصيبة فقد نشأ بينه وبين تلاميذه نوع من التوتر والجفاء حسمه في مؤتمر حمص حين وقف وهاجم بعصبية ووقاحة بعض اعضاء القيادة القطرية البعثية في لبنان مما قضى بتنحيتهم وابعادهم او استقالة بعضهم فور انتهاء المؤتمر . وهكذا نتج عن مؤتمر حمص ابعاد واستقالة مجموعة من الشباب القياديين في لبنان (شرارة — ذبيان — الشميطلي — وياغي) وتسلم زمام القيادة القطرية الجديدة انصار اخلص لعفلق من بينهم خالد يشرطي ، علي جابر ، خالد العلي ، محمد خير الدويري ، عبد المجيد الرافعي وجبران مجدلاني . وخسر البعث في لبنان باخراج او خروج هؤلاء مجموعة كبيرة من خيرة شبابه ومناضليه بلغت المئات .

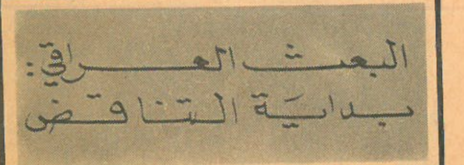
وقد تكررت هذه الحالة المزاجية في اكثر مراحل الحزب وفي جميع اقطاره ولاسباب متشابهة .

على صعيد البعث العراقي شهد مؤتمر حمص قفزة علي صالح السعدي الامين القطري الى عضوية القيادة القومية وبداية صعود نجمه داخل الحزب بعد ان كان المؤتمر القومي الرابع الذي عقد في بيروت قبيل الانفصال قد قضى بتنحية فؤاد الركابي الامين القطري السابق وتصفية جميع انصاره بسبب اشتراكه في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم . اما على الصعيد العربي فقد جدد الحزب خطه الوحدوي رافعا شعار تجديد الوحدة مع عبد الناصر على اسس جديدة ووسائل اكثر ديموقراطية .



الانفصال : اليوم الاول لمرارة الفاجعة .

• قبل الدخول في الحديث عن البعث العراقي لا بد من نظرة تاريخية الى ظهور البعث في العراق . بعد سنتين على ولادة حزب البعث العربي الاشتراكي في « لونا بارك » سنة ١٩٤٦ اي في سنة ١٩٤٨ بدأت العاصمة العراقية تكتشف شيئا جديدا اسمه « البعث » ، وذلك اثر ظهور كراستين الاولى باسم « احاديث البعث العربي » والثانية باسم « في السياسة العربية » . وقد اهتم بعض المثقفين والطلبة لهذا الشيء الجديد « البعث » وتعرفوا من خلاله الى شعارات الحزب الرئيسية : وحدة — حرية — اشتراكية . وتشير احدى النشرات الداخلية للحزب والتي وزعت بعد حوادث تشرين ١٩٦٣ الى أن طلائع البعث العراقي كانت تمتص قواعد حزب الاستقلال الذي كان « الحزب القومي الاول » انذاك . وعلى طريق الاساتذة المؤسسين في دمشق بدأ البعث في العراق حلقات وشللا وندوات وبعض كراريس حتى تشرين ١٩٥٢ تاريخ الانتفاضة الوطنية التي لعب الشيوعيون دورا بارزا فيها . بعد هذا التاريخ بدأ البعثيون العراقيون ينتظمون بشكل سري وحسب قوانين التنظيم الداخلية التي سبق ومارسوها في دمشق . ولا تذكر جريدة « الاخبار » البغدادية الصادرة سنة ١٩٥٢ اي اسم من اسماء المؤسسين والمشترعين سوى اشارتها الى ان « بعض الطلبة والاساتذة من الاسكندرون هم حملة بذور البعث وموزعو شعارات « هدامة » ، من نوع « الحلول الجذرية » و« الجماهير الشعبية » و« الطبقة والطبقات الشعبية » ... ويعتقد ان ابرز اساتذة الاسكندرون كان زكي الارسوزي الاسكندراني الاصل والذي سبق عفلق والبيطار باستعمال كلمة « البعث » قبل ١٩٤٦ يوم كان تجمع عفلق والبيطار يعرف بتجمع « الاحياء العربي » . وقد وصفت الجريدة البغدادية حزب البعث الجديد بانه « جناح يساري » في حزب الاستقلال قريب بعض الشيء من حزب الاتحاد الوطني الذي كان يتزعمه ناظم الزهاوي وحزب الشعب الذي كان يتزعمه عزيز الشريف . وكلا الحزبين من فروع المدرسة الماركسية في تفسير التاريخ وتحليل التجمع . وبعد سنة على ولادة التنظيم اي في ١٩٥٣ اصدر





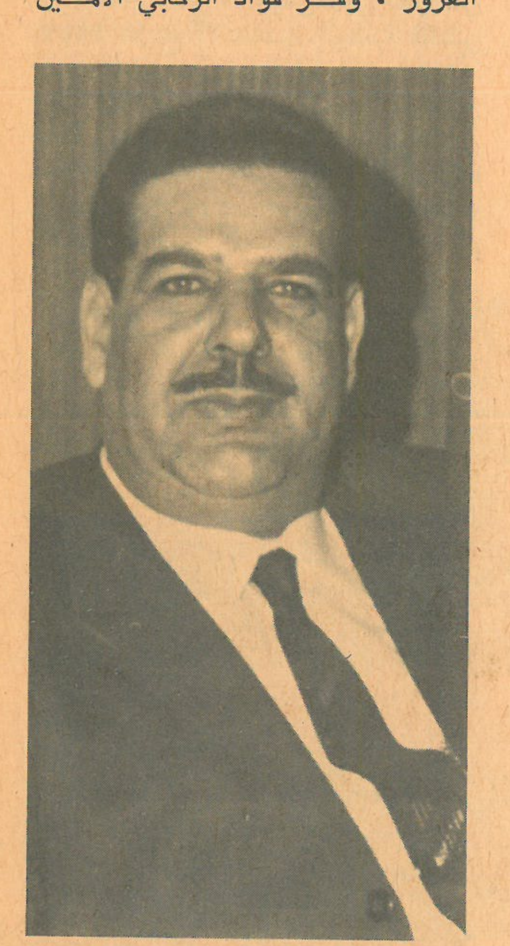
علي صالح السعدي : البعث المتمرد

الحزب جريدته المركزية السرية « العربي الجديد » ثم عاد واستبدل الاسم « بالعربي الاشتراكي » وظلت تصدر بصورة سرية الى تاريخ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . وقد لاقت انتشارا واقبالا في صفوف الطلاب والاساتذة وساعدت في خلق اطارات الحزب من صفوف المثقفين القوميين العراقيين . وبعد ست سنوات على نشوئه وسنتين على ولادة التنظيم عقد البعثيون العراقيون اول مؤتمر قطري تأسيسي لهم في بغداد سنة ١٩٥٤ انتخبوا فيه قيادة قطرية من بين اعضائها فؤاد الركابي (أمين قطري) ، كريم شنتاف ، علي صالح السعدي ، فيصل خيزران ، عبدالله سلوم ، فؤاد شاكر مصطفى ، عبد الرحمن منيف وحميد خلخال . ونتيجة لظروف العراق انذاك ولظروف المنطقة العربية (مشروع حلف بغداد وغيره) ساهم البعثيون العراقيون في تكوين « جبهة الاتحاد الوطني » مع الحزب الشيوعي وحزب الاستقلال وحزب الاستقلال والحزب الوطني الديموقراطي وغيرهم من العناصر المستقلة والقومية التي كانت تقاوم سياسة الاحلاف وتناهض الملكية . واستمر شهر العسل بين البعثيين العراقيين والشيوعيين الى ما بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي ساهموا فيها ضباطا وحزبا حتى كانت القطيعة بين الشيوعيين والقاسميين من جهة والبعث والعناصر القومية الاخرى من جهة ثانية في خريف ١٩٥٨ ، وعلى وجه التحديد اثر مذابح كركوك والموصل التي ذهب ضحيتها بعض ضباط البعث . ومن جديد عاد البعث الى النضال السري والعلني ضد حكم قاسم ومن ورائه الشيوعيين العراقيين . وتصاعد الصراع واحتد حتى كانت محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم بتخطيط وتدبير القيادة القطرية البعثية في تشرين الثاني ١٩٥٩ ، ففشلت المحاولة واعتقل ابطالها : اياد سعيد ثابت ، سليم الزبيق ، حميد مرعي ، احمد طه العزوز ، وفر فؤاد الركابي الامين القطري الى خارج العراق بعد انكشاف التنظيم السري للحزب ولجأ الى لبنان مع من استطاع من انصاره ومعاونيه .

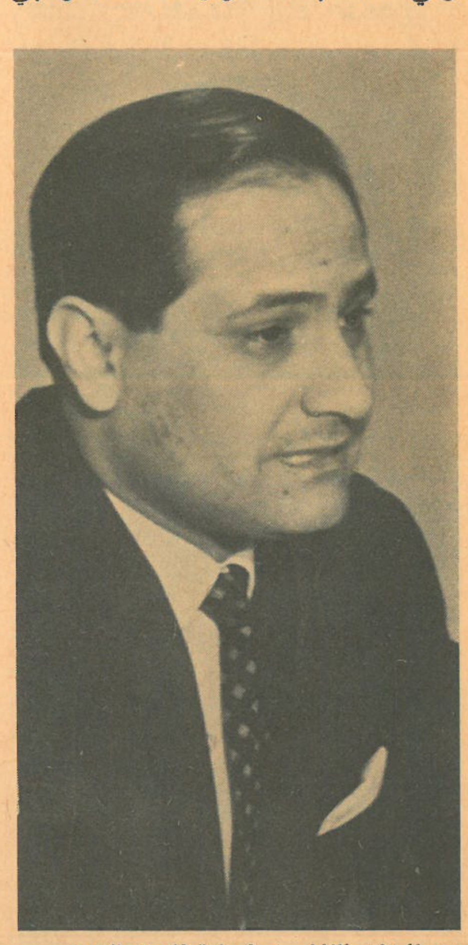
لكن القيادة القومية للحزب والتي كان فؤاد الركابي عضوا فيها استنكرت عملية الاغتيال ولامت الركابي على عمله . ثم دعي الحزب الى مؤتمره الرابع سنة ١٩٦٠ . ومنذ الوهلة الاولى شعر الركابي ان جو المؤتمر معبأ ضده لسببين : الاول ظاهر وهو تزعمه محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم والثاني ان الحزب في العراق بعد خلافه مع الشيوعيين وعبد الكريم قاسم اقام نوعا من العلاقات الخاصة مع مصر بسبب لقاء الطرفين ضد قاسم وضد الشيوعيين العرب . ويبدو ان الركابي كان ميالا الى رأي عبدالله الريماوي زميله الاردني في ضرورة «زيادة التنسيق مع عبد الناصر» بينما كانت غالبية قيادة الحزب قد اعطت رأيها وفصلت قبل سنة الريماوي ومجموعته من القيادة ومن الحزب . وفي الانتخابات القومية سقط الركابي واحتل علي صالح السعدي الامانة القطرية في العراق وعضوية القيادة القومية . وعاد الركابي الى بغداد غاضبا وحاول جمع انصاره ومريديه لشق الحزب . لكنه لم ينجح على ما ظهر واصدرت قيادة الحزب قرارا بفصله نهائيا فجاء ثانية الى بيروت والقى بيانه الشهير في فندق « السان جورج » هاجم فيه رفاقه بعثيي العراق واتهم بعضهم (فيصل حبيب وطالب شبيب وحازم جواد) بالعلاقة مع الاستعمار . وهكذا انتهت « مرحلة الركابي » في بعث العراق لتبدأ مرحلة علي صالح السعدي ومجموعته .

في صبيحة ١٤ رمضان « شباط » استفاق العراقيون والعرب على بيانات راديو بغداد تعلن سحق « الديكتاتور المتآمر » عبد الكريم قاسم وقيام حكم « وحدوي اشتراكي » . وكان بطل الانقلاب هذه المرة حزب البعث بزعامة علي صالح السعدي وطالب شبيب

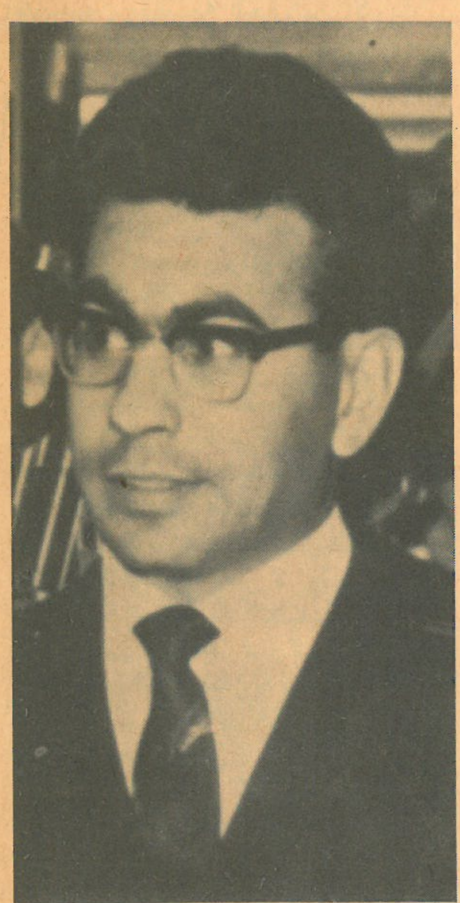
احمد حسن البكر : البعث المعتدل



حردان التكريتي : البعث المتردد



عبد الرزاق النايف : طروادة البعث الجديد



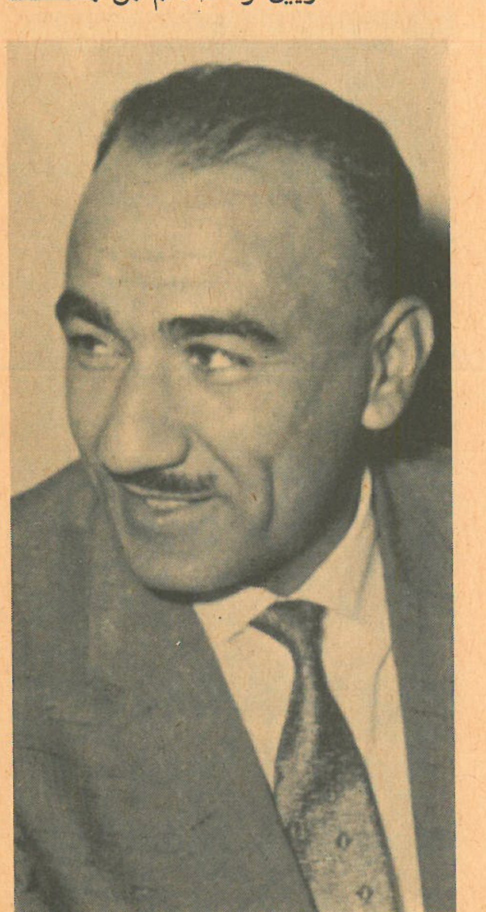
حازم جواد : البعث المتقلب

وحازم جواد وغيرهم . ومنذ اليوم الاول اخرج حزب البعث عبد السلام عارف من السجن حيث كان يقضي حكما صادرا بحقه من رفيقه السابق عبد الكريم قاسم وعينته الحركة رئيسا للجمهورية. وبدا واضحا منذ اللحظة الاولى ان بطل الانقلاب ورجل العراق القوي هو علي صالح السعدي الامين القطري للحزب ووزير الخارجية ونائب رئيس الوزراء وقائد الحرس القومي الشعبي. وكان بين العسكريين البعثيين الذين شاركوا في الانقلاب طاهر يحيى ، احمد حسن البكر ، حردان التكريتي ، وصالح مهدي عماش وكلهم من الضباط الكبار في الجيش العراقي . وقد باركت القيادة القومية التي كانت في دمشق هذه « الثورة المباركة » لكنها لفتت نظر الرفاق العراقيين الى تحاشي اهراق الدماء والمجازر مع الشيوعيين الذين حملوا السلاح ضد الانقلاب . لكن ذلك لم يمنع قيام مجازر رهيبة سقط فيها آلاف القتلى معظمهم من الشيوعيين ومن القاسميين وبطبيعة الحال من الابرياء .

حمل الانقلاب البعثي مع ولادته تناقضين اساسيين : الاول عداؤه الشرس للشيوعيين . والثاني حذره المفرط من عبد الناصر . أما الدلالة الاولى فقد روت نتائجها ومضاعفاتها شوارع بغداد من دم الطرفين ، الامر الذي اثار سخط الراي العام اليساري كله . وأما الدلالة الثانية فظهرت في خطبة علي صالح السعدي في القاهرة ليل ٢٢ شباط ١٩٦٣ احتفالا بذكرى الوحدة حيث ألقى خطابا بحضرة عبد الناصر حاول الخطيب من خلاله أن ينتقد نظام عبد الناصر علنا وبشكل صريح وان يطالبه في الوقت نفسه بتجديد الوحدة الخالدة حسب شروط البعث الجديد الحاكم المنتصر لا حسب شروط ومفاهيم عبد الناصر التقليدية .

أما على الصعيد العراقي المحلي فقد بدأ الهمس ثم التصريح بوجوب ازالة عبد السلام عارف لتفاهته أولا ولارتباطه الوثيق بعبد الناصر (يذكر البعثيون ان عبد السلام عارف كان يتصل ليليا قبل النوم بعبد الناصر ويخبره بكل شاردة وواردة) . ثم بدأ التناقض الكبير بين العسكريين البعثيين ممثلين بطاهر يحي وحردان التكريتي واحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش والبعثيين المدنيين المعروفين حينذاك برجال الحرس القومي وزعيمهم علي صالح السعدي . ثم كبر التناقض واتخذ شكلا أوسع عندما تحول الى صراع بين العسكريين كل العسكريين، بعثيين وغير بعثيين، وجماعة الحرس القومي والقيادة القطرية التي كان يسيطر عليها علي صالح السعدي . ويروي الذين عاشوا تلك الفترة أن علي صالح السعدي عن سوء تقدير وعدم خبرة في دخائل الجيش العراقي، حاول مرة واحدة ودون اعتماد سياسة المراحل اخضاع ضباط الجيش العراقي الكبار لاوامره الحزبية عبر مسلحي الحرس القومي الذين كانوا أشبه بميليشيا شعبية .

وبعد شهرين على هذا الصراع الخفي واجه البعث العراقي عزلة خانقة ووضعا دقيقا . فتذبيح الشيوعيين جرفه رغم ارادته يمينا . وفشل مفاوضات الوحدة الثلاثية في ما بعد ، افقده الناصريين وحلفاءهم من مختلف

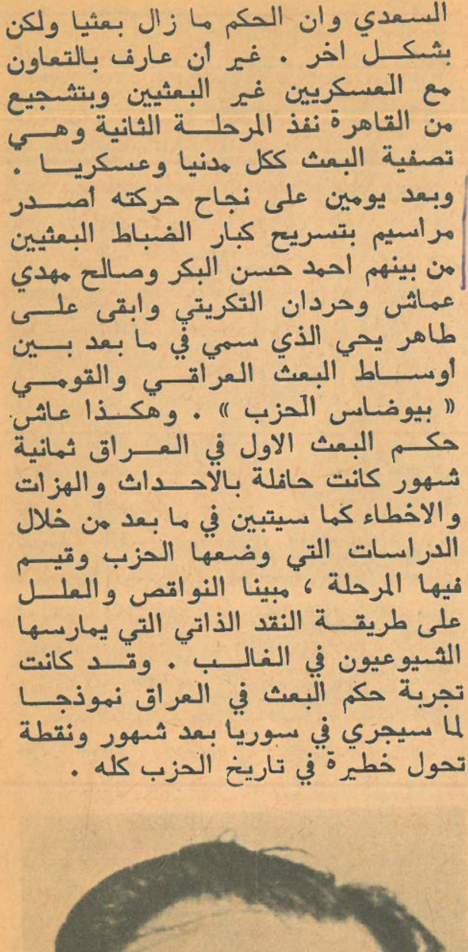

صالح مهدي عماش : البعث الشاعر

المستويات والتيارات . وداخل المجموعة الحاكمة تصاعد الخلاف واشتد حتى كان يوم ١١ تشرين ١٩٦٣ . فبينما كانت القيادة القطرية البعثية التي يسيطر عليها السعدي سيطرة كاملة تقيم مؤتمرها السنوي العادي فوجىء المؤتمرون بدخول حازم جواد وبعض العسكريين المسلحين بالرشاشات قاعة المؤتمر حيث اعتقلوا المؤتمرين وساقوا زعيمهم علي صالح السعدي بسيارة عسكرية الى المطار ومن هناك سفروه الى مدريد. وبحراسة المدرعات والرشاشات أرغم حازم جواد المؤتمرين على انتخاب قيادة جديدة خلفا للقيادة الشرعية السابقة .

بعد يومين على هذه الحادثة انتصر الحرس القومي للسعدي وللقيادة السابقة ونزل مسلحوه الى شوارع بغداد مهددين بالثورة ان لم تحل القيادة الجديدة المفروضة بالقوة ويعاد علي صالح السعدي الى البلاد .

ووصلت اخبار بغداد الى دمشق فسافر خمسة من اعضاء القيادة القومية (أعلى سلطة في الحزب) الى العراق لمعالجة الوضع ولحسم النزاع هم : ميشال عفلق ، امين الحافظ ، صلاح جديد ، جبران مجدلاني ، وحمود الشوفي، وبدأوا اتصالاتهم بالاطراف المتنازعة التي كان الخلاف بينها يهدد بحرب أهلية جارفة .

فالحرس القومي يصر على ضرورة اعادة القيادة القطرية الشرعية التي حلت بقوة السلاح ، والعسكريون وعارف يهددون بالاستقالة اذا اعيدت القيادة السابقة وعلي صالح السعدي . وحاول عفلق ايجاد حل وسط يحفظ فيه الشرعية الحزبية وبالوقت نفسه يرضي العسكريين الغاضبين ، لكن الوقت كان قد داهمه فنفذ عارف مع بعض العسكريين البعثيين حركة ١٨ تشرين التي سحقت الحرس القومي واحتجزت مندوبي القيادة بما فيهم عفلق والحافظ ومجدلاني . وكان ابرز العسكريين البعثيين الذين انضموا لعارف ، طاهر يحي وحردان التكريتي بينما بقي صالح مهدي عماش متأرجحا بين ولائه الحزبي ومركزه العسكري . وظن عسكريو البعث أن الموضوع انتهى بتصفية الحرس القومي وعلي صالح


السعدي وان الحكم ما زال بعثيا ولكن بشكل اخر . غير أن عارف بالتعاون مع العسكريين غير البعثيين وبتشجيع من القاهرة نفذ المرحلة الثانية وهي تصفية البعث ككل مدنيا وعسكريا .

وبعد يومين على نجاح حركته أصدر مراسيم بتسريح كبار الضباط البعثيين من بينهم احمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وحردان التكريتي وابقى على طاهر يحي الذي سمي في ما بعد بين أوساط البعث العراقي والقومي « بيوضاس الحزب » . وهكذا عاش حكم البعث الاول في العراق ثمانية شهور كانت حافلة بالاحداث والهزات والاخطاء كما سيتبين في ما بعد من خلال الدراسات التي وضعها الحزب وقيم فيها المرحلة ، مبينا النواقص والعلل على طريقة النقد الذاتي التي يمارسها الشيوعيون في الغالب . وقد كانت تجربة حكم البعث في العراق نموذجا لما سيجري في سوريا بعد شهور ونقطة تحول خطيرة في تاريخ الحزب كله .


طاهر يحيى : التركة الثقيلة



طالب شبيب : البعث الديبلوماسي



الرحمن عارف : الوريث لحساب القاهرة

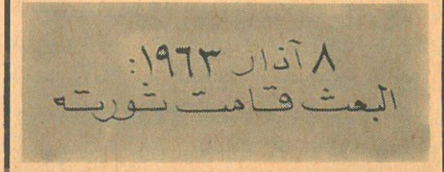
نهاية عبد الكريم قاسم : بداية البعث



الحرس القومي في بغداد : رعونة القوة



١٧ تموز ١٩٦٧ : ما قبل عودة البعث





صلاح جديد : لغز البعث الحقيقي



محمد عمران : سقوط قبل الاوان

قبل الدخول في تفاصيل ما حدث في ٧ اذار ١٩٦٣ وما جر وما ترك من ذيول يوجب الانصاف العودة قليلا الى الوراء. الى ايام حكم الوحدة وقرار حل حزب البعث .

لقد تبين لنا في الصفحات السابقة كيف خدعت قيادة حزب البعث القومية ووافقت على حل الحزب ١٩٥٨ . ثم كيف عادت وتراجعت عن هذا الخطأ القاتل بعد سنتين في المؤتمر الرابع الذي عقد في بيروت . واشرت كذلك الى حملة التسريحات والتنقيلات التي تعرض لها ضباط البعث بعد ثماني واربعين ساعة على اعلان الوحدة السورية ــ المصرية . ومن بين الضباط البعثيين الصغار الذين نقلوا الى مصر تكونت مجموعة من النقباء والمقدمين من بينهم محمد عمران ، صلاح جديد ، عبد الكريم الجندي ، محمد رباح الطويل ، حسين ملحم ، سليم حاطوم واحمد المير ملحم ، شكلوا سرا ما عرف في ما بعد « باللجنة العسكرية » ، وكان رأس التنظيم محمد عمران . وقد لوحظ في اللقاءات السرية التي كانت تتم بينهم في صعيد مصر وفي المنشورات السرية



٨ آذار ١٩٦٣ : البعث قامت ثورته

التي وزعوها على بعض الضباط السوريين المنفيين نقمة مزدوجة : الاولى على حكم عبد الناصر واقليميته الظاهرة تجاههم . والثانية على قادة البعث التاريخيين اي الاساتذة الثلاثة الذين كانوا في نظر هؤلاء الضباط مسؤولين عما حل بهم وعما آلت اليه الاحوال . وفي اواخر حكم الانفصال ، خاصة في فترة حكومة بشير العظمة اعيد بعض هؤلاء الضباط الى مراكزهم العسكرية السابقة بينما بقي البعض الاخر خارج الاطار العسكري مواظبا على نشاطه السري ضمن اللجنة العسكرية التي كانت مستقلة عن البعث القومي وقيادته الثنائية الممثلة بعفلق والبيطار بعد انشقاق الحوراني عنها ، وعلى اتصال بتجمع القطريين (مصلح سالم وخالد الجندي) . وبعد عشرين يوما على انقلاب ١٤ رمضان البعثي في العراق قر راي اللجنة العسكرية على وجوب القيام بانقلاب عسكري مشابه يتسلم به البعث العسكري السلطة بأقل ما يمكنه من الدماء وبأقصى ما يتوافر من السرعة . وقبل ثماني واربعين ساعة من تنفيذ الانقلاب اتصل احد الضباط (يرجح أن يكون سليم حاطوم) بصلاح البيطار وأبلغه بخطة الانقلاب وموعد تنفيذه الذي كان في ٧ اذار وكانت الخطة تقضي بأن يكون طابع الانقلاب الجديد « جبهويا قوميا » اي ممثلا لجميع العناصر القومية من ناصريين وقوميين عرب وبالطبع البعثيين وبعض المستقلين كزياد الحريري . وفي الخامس من اذار فوجىء المخططون بمرسوم نقل زياد الحريري من قيادة الجبهة الى سفارة سوريا في بغداد كملحق عسكري وبمرسوم اخر ينقل بموجبه راشد القطيني ممثل القوميين العرب من الملحقية العسكرية في عمان الى رئاسة الشعبة الثانية في الاركان . وكان الاثنان من المشتركين في خطة الانقلاب . واجتمع الانقلابيون في بيت زياد الحريري وقرروا التعجيل في الانقلاب خشية تنفيذ مرسوم نقل الحريري الى بغداد قبل وصول القطيني الى رئاسة الشعبة الثانية . واتصلوا بالقطيني الذي طلب منهم تأخير موعد الحركة ٢٤ ساعة ريثما يكون قد وصل الى دمشق وتسلم وظيفته الجديدة .

وفي صباح الثامن من اذار تحركت الوية المشاة والمدرعات من الجبهة بقيادة زياد الحريري نحو العاصمة دمشق حيث

لاقاه من الجبهات الاخرى ضباط «اللجنة العسكرية » أمثال عمران ، كنعان ، وسليمان حداد ، ومصطفى الحاج علي، وسليم حاطوم ، بينما كان دور عمران وجديد والجندي المراقبة والتخطيط لانهم كانوا خارج القطعات العسكرية . وبعد ساعتين تم لهم الامر بسرعة مذهلة ودون اراقة نقطة دم واحدة . ويروى احد ابطال الانقلاب ان الناصريين فوجئوا بالانقلاب وانهم لم يؤيدوه الا في الساعة الحادية عشرة ظهرا اي بعد خمس ساعات على نجاحه . ويقول المصدر نفسه أن اللجنة العسكريه كانت قد أوهمت حلفاءها الناصريين بأن موعد الانقلاب هو التاسع من اذار وليس الثامن منه وذلك في محاولة للسيطرة المبكرة على الموقف وعلى القطعات خشية حدوث العكس من جانب الضباط الناصريين .

وبرزت الحركة للوهلة الاولى جبهوية . واعطي الناصريون بشخص محمد الصوفي قيادة الجيش ، كما اعطي القوميون العرب بشخص راشد القطيني رئاسة الاركان وبقي ضباط اللجنة العسكرية في المقاعد الخلفية يخططون للمراحل القادمة والصعبة .

سليم حاطوم : نهاية التهور

وشكل صلاح البيطار حكومة جبهوية تمثلت فيها كل الفئات القومية : هاني الهندي وجهاد ضاحي عن القوميين العرب ، سامي صوفان عن الوحدويين الاشتراكيين ، ونهاد القاسم عن الجبهة الخماسية . والفئات الثلاث كانت محسوبة على الناصريين فيما اخذ البعث نصف الحقائب الوزارية الاخرى ومن ابرزها وزارة الداخلية التى اسندت الى العميد امين الحافظ الذى كان ملحقا عسكريا مبعدا في الارجنتين .

وبدأت الخلافات والشكوك منذ اليوم الاول للانقلاب . ففى حين طالبت الفئات الناصرية الثلاث بثلاثة ارباع الحكم والربع الباقي للبعث اشترط البعث مبدأ المناصفة ، معتبرا جميع هذه الفئات كتلة واحدة وهو بدوره كتلة ثانية . وحلت العقدة الاولى بقبول مبدأ المناصفة . ثم اختلفوا على كيفية اعادة الحوار مع القاهرة تمهيدا لاعادة الوحدة .

فطرح البعث شعار الوحدة الثلاثية على اساس ادخال العراق بينما طرح الناصريون شعار اعادة الوحدة الثنائية مع مصر أولا واعتبار الانفصال وضعا غير شرعى ومن ثم بدء المفاوضات مع



احمد المير : الجبهة مع اللواء السبعين

العراق البعثي للدخول في هذه الوحدة. وتمسك كل فريق بوجهة نظره . وبدا الاستعداد من كلا الطرفين لتصفية الخلافات فيما تسنح الفرصة .

وجاءت مفاوضات الوحدة الثلاثية في القاهرة في ١٧ نيسان بين ممثلي البعث الجديد الحاكم في العراق بزعامة علي صالح السعدى والبعث الحاكم في دمشق بقوة اللجنة العسكرية وبواجهة مدنية في مقدمتها عفلق والبيطار . وكان البعث هذه المرة غير بعث ١٩٥٧ و١٩٥٨ . كان واثقا من نفسه كاشفا بطاقته الحزبية محاولا الى حد ما رد الاعتبار لنفسه امام عبد الناصر الذي لم يكن في نظر البعثيين هو نفسه عبد الناصر ١٩٥٧ و١٩٥٨ المدلل وفارض الشروط وصاحب الكلمة الاولى والاخيرة . وفي اثناء مفاوضات الوحدة الثلاثية بادرت اللجنة العسكرية التي صار امين الحافظ رئيسا لها والتي كانت ممسكة بمفاتيح القوة الحقيقية في الجيش السوري بتسريح وعزل كبار الضباط الناصريين والقوميين العرب حلفاء عبد الناصر آنذاك بعد أن شعر ضباط اللجنة العسكرية بأن القاهرة كانت تماطل واحيانا تستخف بقوة البعث في سوريا



عبد الكريم الجندي : الانتحار المبكر

تحينا لضربة ما . وعلى اثر هذه التسريحات المفاجئة انشأ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام مقالته الشهيرة في « اهرام » الجمعة بعنوان « اني اعترض » . وانتهت مفاوضات الوحدة الثلاثية الى الفشل كما هو معلوم ونفذ البعث السوري شعاره القائل بأن « لا وحدة جديدة مع مصر بدون بعث العراق » ومن جديد توتر الجو بين البعث ككل وبين السياسة الناصرية في عرض المنطقة العربية وطولها فكان من نتيجة ذلك حركة ١٨ تموز في دمشق والمجازر التي نتجت عنها والتي ساعدت العميد امين الحافظ رجل الجيش القوي على تصدر السلطتين المدنية والعسكرية مزيحا من دربه العسكري زياد الحريري اخر الضباط الكبار غير البعثيين ، والمدني صلاح البيطار الذي كان متأملا بعض الشيء في امكان اقناع عبد الناصر بالقبول برأي البعث الجديد . اما على الصعيد الاعلامي والاذاعي فقد تعرض البعث لاقسى حملة مدروسة مركزة من اجهزة الاعلام المصرية لم يسبق أن مارستها القاهرة حتى في ايام خصوماتها مع نوري السعيد والملك حسين وكميل شمعون .



امين الحافظ : ابو عبدو البعث



زياد الحريري : خداع النظر



انقلاب ٢٣ شباط : الدم في الشوارع



محادثات الوحدة ١٩٦٣ : لا بعث مع عبد الناصر



ايليا كوهين على المشنقة : الجاسوس والفضيحة







فتيات البعث : من مظاهر العسكريتاريا



مغاوير الجيش العقائدي



المجلس الوطني : برلمان البعث الاول والاخير



الجيش في الشوارع : انقلاب لا ثورة

١٩٦٣

المؤتمر السادس : الغاء عفلق وتصفية البيطار

بفشل مباحثات الوحدة الثلاثية مع عبد الناصر قوي التيار الاقليمي القطري داخل صفوف البعث وضعفت حجة عفلق والبيطار اللذين كانا يعلقان آمالا كبيرة على « تجديد الوحدة مع عبد الناصر » . وبرزت بالمقابل نزعة بعثيي الصف الثاني الذين كانوا يسايرون عفلق والبيطار ولكنهم فى الوقت نفسه ينتقدونهم في مجالسهم الخاصة وفى بعض النشرات الحزبية معتبرين وجودهما في قيادة الحزب ترضية لهما لا اكثر ولا اقل ، وسببا من اسباب الكوارث واللعنات التى نزلت بالحزب .

وفي ايلول من السنة ١٩٦٣ نفسها دعي الحزب الى مؤتمر قومي سادس كانت واضحة قبل انعقاده سيطرة بعثيي الصف الثاني وأصحاب النزعة القطرية والاقليمية (الذين عرفوا باليساريين) على جو المؤتمر تنظيميا ونفسيا وعسكريا. في اول جلسات المؤتمر الذي عقد في دمشق لوحظت سيطرة علي صالح السعدي المطلقة على المندوبين العراقيين ، بينما بدا العسكريون السوريون جبهة واحدة بزعامة أمين الحافظ ومحمد عمران وصلاح جديد ، في حين انقسم المندوبون المدنيون السوريون واللبنانيون الى فئتين : فئة موالية لعفلق والبيطار وفئة موالية للسعدي والشوفي والعسكريين .

وتمت السيطرة لتجمع السعدي ـ الشوفي والعسكريين على المؤتمر بنسبة ٧٥ بالمئة . وللمرة الاولى في تاريخ البعث تعرض المؤتمرون الى صلب النظريات العفلقية واجتهاداتها وشنوا عليها حملة « ايديولوجية » ناعتينها بالتخلف واليمينية ووضعوا بدلها ميثاقا جديدا للحزب يأخذ بالتحليل الماركسي للمجتمع وللتاريخ في بعض فقراته وجوانبه التي عرفوها « بالمنطلقات النظرية الجديدة » فعارضها عفلق واعتبرها نظريات « غير بعثية » وطالب بوضع مقدمة لها جاءت معارضة لها كل




ابراهيم ماخوس : وجه البعث في الخارج

منيف الرزاز : التجربة المرة

المعارضة . ثم انتقلوا الى صلاح البيطار فاسقطوه من القيادة القومية للمرة الاولى في تاريخ حياته البعثية . وكذلك اسقطوا محمد عمران بناء لاتفاق سري بين امين الحافظ وصلاح جديد . وحل محله في عضوية القيادة القومية صلاح جديد للمرة الاولى .

وكتكملة لمخططهم ادخل المسيطرون الى الحزب ما كان يعرف «بالقطريين» اي السادة والدكاترة يوسف زعين ، مصلح سالم ، منير العبدالله ، سليمان الخش ، الذين كانوا قد انقطعوا عن ممارسة اي نشاط داخل الحزب منذ حله في شتاء ١٩٥٨ لكنهم كانوا على صلة مستمرة مع صلاح جديد وعبد الكريم الجندي . وكان امين الحافظ يسايرهم ويهتم بهم نتيجة للتحالف السري الذي كان قائما بينه وبين صلاح جديد ضد محمد عمران داخل اللجنة العسكرية .

وقد وصف احد البعثيين البارزين الذين حضروا اعمال المؤتمر السادس بانه كان نقطة تحول تاريخية في حياة الحزب استطاع فيه العسكريون السوريون مع المتمركسين المدنيين في اسقاط مؤسس الحزب عفلق نظريا والابقاء عليه كرمز ، وتصفية صلاح البيطار حزبيا وعمليا في مرحلة اولى تليها تصفية عفلق نفسه في المؤتمر الثامن .

وعلى الصعيد البعثي اللبناني كان مندوبو المؤتمر السادس محمد خير الدويري ، سعيد شعيب ، خالد العلي ، جبران مجدلاني ، عبد المجيد الرافعي ، خالد يشرطي ، علي جابر وبشير الداعوق ، منقسمين شأن رفاقهم البعثيين الى فئتين . فالمجدلاني والرافعي وعلي جابر وخالد يشرطي موالين لعفلق ، والدويري وبشير الداعوق وسعيد شعيب مسايرين تحالف العسكريين والمتمركسين الشباب .

وجاء المؤتمر السابع كردة طبيعية لسقوط علي صالح السعدي في بغداد وبالتالي لسقوط التجربة البعثية العراقية ككل . وكان عفلق هو صاحب البادرة في الدعوة الى المؤتمر الاستثنائي في محاولة منه « لتصحيح ايديولوجية



يوسف زعين : حلف مع موسكو

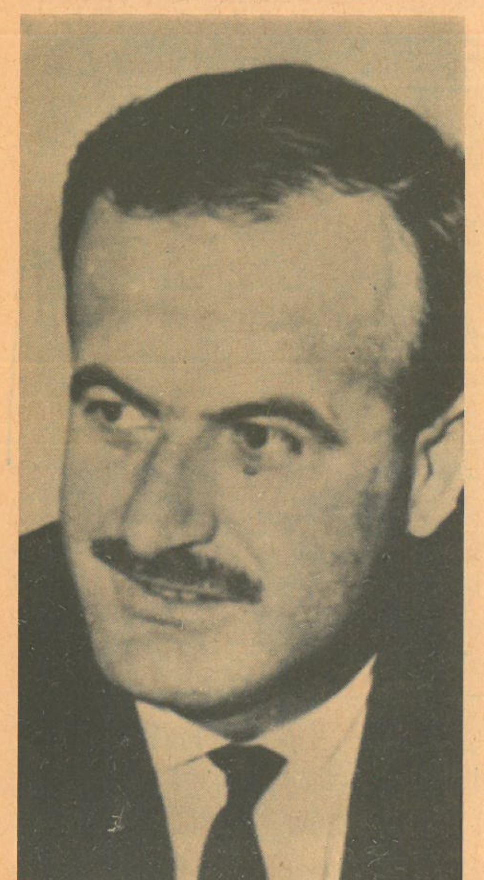
نور الدين الاتاسي : الواجهة الضرورية

الحزب » ولتصفية حسابات المؤتمر السادس وما طرأ عليه من اصدقاء له وخصوم . وحيال غضبة الاستاذ المؤسس وفشل التيار « اليساري » لعب العسكريون لعبة مزدوجة . فبينما كانوا في المؤتمر السادس مؤيدين علنا وبعناد التيار المتمركس المعارض ، تراجعوا والتفوا حوله في محاولة جديدة منهم لتصفية العناصر المدنية المتمركسة الباقية داخل القطر السوري . ونتيجة لهذا التحالف الجديد بين العسكريين وعفلق حلت القيادة القطرية للبعث السوري التي كان يسيطر عليها حمود الشوفي وانصاره كما حلت القيادة العراقية وانتخبت قيادة قومية جديدة دخلها عمران وصلاح البيطار ابرز ضحيتين للمؤتمر السادس . وكانت قيادة المؤتمر السادس قد فصلت البيطار من عضوية الحزب بسبب تصريح صحافي له عن « اسباب الردة في العراق » ، فاستدعته القيادة الجديدة لتشكيل حكومة معتدلة ترمم ما بقي من هيبة الحزب وتعيد البعث الى اصوله التاريخية ، اي الى مرحلته تجاه البورجوازية الوسطى والصغرى التي كانت قيادة السعدي والشوفي قد ارعبتها وحلت مفاصلها بسلسلة التصريحات والتأميمات المرتجلة غير المدروسة .

ولكن تحالف العسكريين مع عفلق لم يكن الا مناورة هدفها قسمة القوة المدنية في الحزب ثم تصفية الاستاذ المؤسس وجماعته في المرحلة الاخيرة . بينما كانت غاية عفلق اعادة حزبه الى منطلقاته الاساسية بابعاد المتمركسين والمتطرفين واخضاع العسكريين لسلطة الحزب العليا .

وهكذا ما ان اعيد عمران الى القيادة القومية حتى بادر تحالف جديد — الحافظ الى اعتقاله — اي عفلق — ثم تسفيره خارج سوريا دون اعطاء اي مبرر .

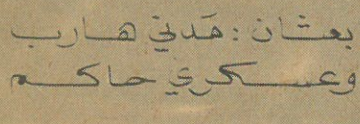
وبعد تسفيره المفاجيء بدأ الصراع مجددا ومكشوفا بين العسكريين وعفلق الذي لم يجد في داخل سوريا الا قلة من المدنيين الذين يسندون زنده ويشدون ازره . اما سائر المدنيين القياديين من انصاره فكانوا اما لبنانيين



حافظ الاسد : شرعية الحزب ام شرعية الجيش

(جبران مجدلاني ، خالد العلي) او اردنيين (منيف الرزاز) في حين وقف تجمع « القطريين » اي زعين وماخوس ومصلح سالم وسليمان الخش الى جانب العسكريين . وانقسم الحزب الى مجموعتين واضحتين ، مجموعة عفلق وقوتها الاساسية في القيادة القومية، ومجموعة العسكريين والقطريين المدنيين ومركز ثقلهم في القيادة القطرية. وبدأت سياسة شد الحبال السرية حينا والعلنية حينا اخر بين القادتين القطرية والقومية . لكن القيادة القطرية وركيزتها الاساسية اللجنة العسكرية رفضت الخضوع لاوامر القيادة القومية . وفي محاولة لتسوية الامور دعي الحزب الى مؤتمر قومي ثامن انتخب فيه عفلق امينا عاما بالاجماع لكنه اعتذر واصر على موقفه اي اخضاع العسكريين والقطريين للقيادة القومية .

واستمرت طبخة التسوية بانتخاب منيف الرزاز (الاردني) امينا عاما ومنح عفلق « لقب القائد المؤسس » ، لكن التسوية لم تدم الا بضعة اسابيع اذ انتقل امين الحافظ بصورة مفاجئة من صفوف العسكريين والقطريين الى صف القيادة القومية واصدر قراره الشهير بحل القيادة القطرية التي كان يسيطر عليها صلاح جديد ومن ورائه العسكريون والقطريون . وجاء رد القطريين بانقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ وطرد الحافظ والبيطار وعفلق من القيادة ومن الحزب ومن الاراضي السوريه ، وتمت السيطرة المطلقة للعسكريين بزعامة صلاح جديد، وطرحت « المنطلقات النظرية » كعقيدة الحزب الرسمية . وصار البعث السوري منذ هذا الانقلاب الى اليوم يعرف عربيا ودوليا « بالبعث اليساري » بسبب انفتاحه على القاهرة وعلى موسكو في آن واحد وبسبب اشتراك الشيوعيين في بعض المناصب الوزارية . وكتكريس للشرعية الحزبية دعي الى مؤتمر قومي تاسع انتخب فيه الدكتور نور الدين الاتاسي امينا عاما للحزب وصلاح جديد امينا مساعدا وتوج يوسف زعين كرئيس للوزارة حتى منتصف تشرين الاول ١٩٦٨ (حيث حصل تصحيح جديد برز فيه حافظ الاسد على صلاح جديد ونور الدين الاتاسي على حساب يوسف زعين دون تغيير جذري في السياسة الداخلية والخارجية) .



كانت حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ مفترقا تاريخيا حاسما في تاريخ البعث . اذ للمرة الاولى في تاريخ الاحزاب والمنظمات يقوم انقلاب عسكري ليس ضد طبقة حاكمة او حزب حاكم بل مجموعة حزبية حاكمة ضد مؤسسة الحزب وقائده طوال ثلاثين سنة . وقد تمت السيطرة لما سمي « بالقطريين » على مقاليد السلطة في داخل سوريا والتفت حولهم مجموعات لا باس بها من اطارات الحزب باستثناء القلة المدنية التي استمرت على ولائها لخط الحزب الاساسي اي لعفلق . اما في خارج سوريا فللوهلة الاولى وقفت اكثر فروع الحزب ضد الانقلابيين ومؤيدة عفلق ، خاصة بعث لبنان والاردن والسعودية وليبيا . اما بعث العراق فقد لعب ورقة الحياد وعرض وساطته لرأب الصدع ، لكنه لم يلق تجاوبا من الطرفين فعاد وانضم مبدئيا الى صف القيادة التاريخية ، وعلى عادته سافر المؤسس

والقائد عفلق الى البرازيل ضيفا على احدى شقيقاته قرفا مما حصل مرددا عبارته الشهيرة « لا هذا البعث بعثي ولا هذا الجيش عسكري » . اما صلاح البيطار فقد اختار لبنان ملجأ ثابتا له بينما نشطت القيادة القطرية في دمشق لاجتذاب ما امكنها من البعثيين خارج سوريا الى صفها . وحظيت ببعض عناصر الشباب من لبنان كمالك الامين ومصطفى مرتضى وبشير الداعوق وغيرهم كما نجحت في دغدغة الاقليمية اليمنية لدى بعض بعثيي اليمن بسبب ظروف الاحتلال المصري وما نتج عنه . فانحاز الى جانبها محسن العيني وبعض انصاره دون ان يشاركوا في الحملة على العفلقيين وانصارهم . أما اكثر العناصر تحمسا وتأييدا للحكم القطري السوري فكان الشيوعيون ، خاصة السوريين منهم واللبنانيين .

قرف عفلق لكن العفلقيين لم يقرفوا . فبعد حرب حزيران ١٩٦٧ والكارثة العسكرية والمعنوية التي أصابت الوجود العربي في الصميم تداعوا الى مؤتمر قومي — عرف بالمؤتمر القومي التاسع — عقد في بيروت وحضره مندوبون عن العراق والخليج العربي والاردن ولبنان وسوريا باستثناء صلاح البيطار الذي كان قد وزع بيانا في الصحف يعلن فيه تخليه التام عن البعث ويدعو الى تأسيس هيئة عمل « لحركة عربية قومية جديدة » . وذكر ان من بين المؤيدين لهذه الحركة الجديدة ، منصور الاطرش وخالد الحكيم ونبيل شويري من سوريا وجبران مجدلاني وعلي جابر وبعض أصدقاء بيطار من لبنان . وتميز المؤتمر التاسع العفلقي باقبال البعثيين العراقيين عليه بشكل مشجع وبعودة الفريق أمين الحافظ وصديقه شبلي العيسمي الى النشاط الحزبي بعد فترة مراجعة وتردد. وتصدى الفريق الحافظ من جديد لمسؤوليات القيادة القومية . وانتهى المؤتمر ببيان وزع على الصحف ركز بصورة خاصة على تردي الوضع في العراق وعلى ضرورة العودة الى سياسة الجبهة القومية في سياسة الحزب اذا عاد

نهاية امين الحافظ : الشرعية للقوة .

للسلطة ، كما غمز من قناة الحكم العسكري ومخاطره .

وعلى صعيد الراي العام البعثي والعربي اعطى العفلقيون من خلال مؤتمرهم التاسع اشارة الحياة الى وجودهم . وكبداية لسياستهم الجبهوية وقعوا بشخص امين الحافظ عضو القيادة القومية الجديدة بيانا مشتركا مع « الحورانيين » الحزب الاشتراكي الديموقراطي العربي «والناصريين»للعمل معا ضد البعث الحاكم في سوريا وذلك في صيف ١٩٦٨ . وهكذا التقى من جديد حزب الحوراني بحزب عفلق بعد قطيعة ثماني سنوات ليبقى الاستاذ الثالث « التاريخي » صلاح البيطار هذه المرة وحيدا من دون رفيق الصبا والدراسة « ونجهيز دمشق » بعد رفقة دامت حوالى ثلاثين سنة .

وعرف البعث العراقي كيف يستفيد من اخطاء تجربة حكمه الاولى في بغداد فوضع دراسة نقدية وزعت على أعضاء الحزب انتقد فيه نفسه رادا أسباب انهزامه الى عوامل منها :

١ — اطلاق الشعارات اليسارية المرتجلة حينا والاستسلام الحزبي لليمين حينا اخر .

٢ — عدم وجود دراسة جدية للواقع الاقتصادي والاجتماعي في العراق لدرجة ان قيادة الحزب لم تكن تعرف نسبة الفلاحين او اوضاعهم الخاصة ولا اوضاع مختلف القوميات ولا تملك الارقام خاصة بالاعضاء) .

٣ — استخفاف بعض « الثوريين » علنا باثر الدين على المجتمع لدرجة كانوا يطلقون التصريحات الاستفزازية ليس فقط ضد رجال الدين الرجعيين أو ضد المتاجرين بالديانات بل كانوا يستفزون بتصريحاتهم كل الوطنيين وكل التقدميين .

٤ — عقلية المعارضة والتفكير السلبي بسبب تمرس الحزب بالمعارضة طوال عشرين سنة ، مما جعل قاعدته وهو في الحكم تتصرف على اساس سلبي ومعارض .

٥ — غياب القيادة وسيطرة الفردية : « ان التمزق الذي عاناه الحزب منذ حزيران ١٩٦٣ لم يكن وليد اختلافات في الانطلاقات النظرية كما يزعم البعض بل كان في الحقيقة نتيجة التطاحن بين مسؤولين فرديين (المصدر نفسه) .

٦ — اهمال التنظيم العسكري : ...

بعدما لعب التنظيم العسكري دوره البطولي في القضاء على ديكتاتورية عبد الكريم قاسم اهمل المسؤولون الحزبيون هذا التنظيم اهمالا كليا بعد نجاح الثورة . ومنذ ١٤ رمضان لم يعقد اجتماع واحد للتنظيم العسكري ولم يحضر الرفاق العسكريون حلقة واحدة كما لم يتلقوا اية نشرة حزبية .

هذه هي ابرز ستة اخطاء رئيسية وقع فيها البعث وسقط حكمه نتيجة لها كما يثبت المنشور الحزبي . وعلى اثر هذه الدراسة النقدية التي يبدو انها وضعت خلال ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ تغير ابرز قادة الحزب المدنيين المعروفين (كالسعدي وطالب شبيب وحازم جواد وسعدون حمادي وفيصل خيزران) . وعلى طريقة رفاقهم البعثيين السوريين تصدر ضباط التنظيم العسكري قيادة الحزب بزعامة احمد حسن البكر كما مارس اللواء الطيار حردان التكريتي النقد الذاتي عن تذبذبه ايام ردة تشرين ١٩٦٣ ، فاعيد ثانية الى التنظيم العسكري والى قيادة



عارف عبد الرزاق : الانقلابي المحترف

الحزب وبدأ البعث العسكري الجديديتحين الفرص للاطاحة بحكم عارف الاول (عبد السلام) . ولما سبقه في المحاولة اللواء الطيار عارف عبد الرزاق جاءت ولاية عارف الثاني (عبد الرحمن) . وكان هذا الاخير اقل خبثا من شقيقه واقل جنوحا نحو القاهرة منه ، كما اشتهر بالغباء وطيبة القلب فتميز عهده بالضعف والتردد وانتشار الفوضى في الداخل . ثم وقعت كارثة ٥ حزيران وما حصل فيها من عجائب وغرائب عراقيا وغربيا ودوليا . ووجد البعث العراقي فرصته الذهبية . وبحلول صباح السابع عشر من تموز ١٩٦٨ كانت الدبابات تحاصر القصر الجمهوري « راجية » الرئيس الفريق عبد الرحمن عارف التخلي عن صلاحياته « معززا مكرما » واختيار البلد الذي يرغب في السفر اليه ..

ومن ١٧ تموز الى ٣٠ منه قطع عسكر البعث العراقي المرحلة نفسها التي قطعها رفاقه السوريون بين ٨ اذار ١٩٦٣ و ١٨ تموز ١٩٦٣ . فقد تشاركوا لقلب عارف الثاني مع الضباط المستقلين او من ذوي السمعة القومية او الناصرية (عبد الرزاق النايف ، ابرهيم الداود) . وكان الضابطان غير البعثيين يشغلان مناصب عسكرية اساسية لنجاح الحركة . وكما صفي زياد الحريري وهو في الجزائر ، عزل الداود وهو في عمان في مهمة استطلاعية للقوات العراقية المرابطة هناك ونحي عبد الرزاق النايف رئيس وزارة العشرة ايام ليعين ملحقا عسكريا في السلك الخارجي. ومن دون اي صدام مسلح تم الامر للتنظيم العسكري العراقي مدنيا وعسكريا بواسطة العسكريين الثلاثة ، البكر (رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة والامين القطري)، حردان التكريتي نائبه في المجلس الوطني للثورة وفي رئاسة الوزارة ووزيرا للدفاع ، وصالح مهدي عماش وزير الداخلية واحد اذكى رجال التنظيم العسكري . اما العنصر المدني فيبدو انه صار اقل قوة مما كان عليه في السابق ان لم يكن قد اصابه ما اصاب جماعة القطريين السوريين مع « لجنتهم العسكرية » الشهيرة . مع فارق اساسي هو حياد الشيوعيين تجاه بعثيي العراق الجدد ولا مبالاة القاهرة ظاهريا واستمرار علاقات الود والابوة بين ضباط العراق ومؤسس البعث عفلق .

الحزب: من الاساتذة الى الضباط


حسني الزعيم : بداية الحلقة المفرغة

لا نكون مجحفين اذا قلنا ان « البعث » الذي ولد في « تجهيز دمشق » وحبا وترعرع ما بين السوربون والحي اللاتيني في باريس ثم انتشر في جامعات دمشق وبغداد والقاهرة وبيروت مستقطبا حوله طلائع المثقفين العرب في اواخر الاربعينات ومطلع الخمسينات — ان هذا البعث نفسه قد تحول بعد خمس عشرة سنة على تأسيسه الى حزب الضباط مستبدلا الحوار المنطقي بجنازير الدبابات ، وقاعات الجامعات بالثكنات المحصنة والمكشوفة ، والمناظرات الجدلية بالرشاشات السريعة الطلقات والاتوماتيكية .

فما مرد ذلك وما هي مسبباته الذاتية والموضوعية ؟

ان حزب البعث نشأ في الاساس كامتداد للتيار القومي الرومنطيقي غير النازي الذي ساد اوروبا الغربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر . ويكاد يكون على الصعيد النظري امتدادا لفلسفة ماتزيني الايطالي الذي لعب دورا بارزا في نهضة ايطاليا والذي تأثر به الطالبان عفلق والبيطار . وقد استأثرت النزعة القومية بالقسط الاكبر من اهتمام المؤسسين مسبقينها على المضمون الاشتراكي بدليل خلو شعار البعث الاساسي من عبارة اشتراكية واقتصاره على « حزب البعث » حتى تاريخ اندماجه « بالحزب الاشتراكي » لاكرم حوراني سنة ١٩٥٢ . وهكذا يجوز القول ان « البعث » نشأ قوميا دون ان يكون متأثرا بالنازية او الفاشية التي كانت ذروة النزعات القومية حين تأسيسه (١٩٤٣ — ١٩٤٦) . من هنا لوحظ في دستور الحزب الاول الذي وضع سنة ١٩٤٦ ابراز قدسية الملكية الفردية . كما لوحظت النزعة الرومنطيقية المثالية من خلال محاضرة عفلق عن الرسول العربي محمد واعطائه الدين والقيم الروحية مكانا اولويا بارزا. كما أهمل دستور الحزب الاول والاساسي موضوع الصراع الطبقي واجتهاداته مسبقا عليها دور « الامة العربية » و« الوجود العربي » و« الانسان العربي » . وبقيت هذه الحيرة الايديولوجية موضع اخذ ورد في الحزب حتى افصح عنها مؤسس الحزب في كراس داخلي وزع على الاعضاء يقول : « ان اول نقطة تتبادر الى ذهن الحزبيين عندما يحاولون دراسة النواقص واسباب الفشل التي يمنى بها الحزب قوميا او قطريا في بعض الاحيان هو عدم الوضوح النظري . والحقيقة ان هناك التباسا في اذهان كثير من الحزبيين بين النظرية الكاملة وبين الوضوح النظري . فهناك امكانية لوجود وضوح نظري دون وجود نظرية كاملة للعمل السياسي . والحزب كما تأكد ذلك من كتاباته المختلفة لم يبين نظريته دفعة واحدة بل انطلق من بعض المفاهيم الاساسية واخذ يبلور فكرته استنادا الى تجربته النضالية والى خصائص الوضع القومي العربي » .

ثم يضيف عفلق شارحا مفهومه للوضوح النظري وللنظرية الكاملة فيستشهد بالماركسية وبثورة لينين ١٩١٧ بقوله : « ان الوضوح النظري لا يعطي الحل السحري لمشاكل الحكم. واكبر برهان على ذلك هو ثورة اكتوبر الشيوعية في الاتحاد السوفياتي . فماركس وانجلز ولينين اوضحوا نظرية الحكم واوضحوا قوى المجتمع الفاعلة واوضحوا التناقضات ، وعندما تسلم الحزب الشيوعي في اكتوبر ١٩١٧ الحكم كان مسلما بنظرية كاملة للعمل السياسي خارج الحكم وداخله . ولكن التجربة علمتنا ان هذا الوضوح النظري الكامل بالنسبة الى الحزب الشيوعي السوفياتي لم يستطع ان يحل المشاكل الهائلة ، المشاكل التفصيلية المرتبطة باوضاع المجتمع السوفياتي المتخلف . ووجدنا الحزب الشيوعي السوفياتي يتخبط بالرغم من وضوحه النظري بمواقف متناقضة ومتباينة . فكان يسير من التطرف اليساري احيانا الى التطرف اليميني احيانا اخرى » .

وقد رد معارضو عفلق من بعثيي اليسار والماركسيين على هذه الاجتهادات بقولهم : « ان وجود النظرية الكاملة قد لا يؤدي بالضرورة الى مرحلة الوضوح النظري . ولكن الوضوح النظري في غياب النظرية الكاملة مراهنة خطرة وغير مضمونة العواقب . وصحيح ان وجود النظرية الكاملة في الحزب الشيوعي السوفياتي لم يمنع وقوع الحزب والدولة في مواقف عدم الوضوح النظري ، لكن الاخطاء التي حدثت كانت من خلال التكتيك او الستراتيجية ولم تكن في صلب النظرية الكاملة نفسها » .

ولعل افتقار البعث الى هذه الوحدة النظرية المتكاملة ثم الى فيدرالية القيادة كانا من بين الاسباب الرئيسية التي ساهمت في تفسخه وانقساماته وبعثرته .

وكنتيجة لاعتماده على المثقفين وعلى الطبقة الوسطى المدنية واحيانا على الاقطاعية الريفية وبعض العائلات التقليدية في اساس تكوينه (منصور الاطرش ، جمال الاتاسي ، صلاح البيطار ، جلال السيد ، سامي الجندي في سوريا) فقد بقي حزب البعث بعيدا



شكري القوتلي : وداعا ايتها الديموقراطية

عن طبقة العمال والفلاحين والمعدمين اي ما يعرف ماركسيا بالبروليتاريا — ولان المثقفين وابناء العائلات التاريخية ليسوا ادوات تنفيذ الثورة فقد كان من نتيجة ذلك ان لقيت شعارات البعث ارضها الخصبة بين صفوف العسكريين الذين ينتمون الى طبقة المؤسسين نفسها فوق امتلاكهم للدبابات والمصفحات والطائرات . من هنا ارتبط تاريخ البعث السياسي بالانقلابات العسكرية التي كانت وسيلته الوحيدة للوصول الى السلطة . ويجمع قادة البعث التاريخيون على حقيقة واحدة هي ، ان التنظيم الحزبي لم يدخل ثكنات الجيش قبل ولادة « التنظيم العسكري » في اثناء حكم الوحدة الذي قام في ما بعد بحركة ٨ اذار الدمشقية وما زال حاكما الى اليوم . قبل هذا التاريخ — اي تاريخ قيام الوحدة — كان هناك تجاوب ما بين بعض الضباط وبعض قادة البعث دون ان يكونوا اعضاء منظمين في الحزب . ويرجع تاريخ العسكريين في البعث الى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ حين التحق اكرم الحوراني « بجيش الانقاذ » وبعض الضباط من امثال عدنان المالكي وعبدالغني قنوت ومصطفى حمدون . فنشأ بين هؤلاء الضباط وبين الحوراني الذي كان زعيما للحزب الاشتراكي انذاك نوع من الصداقة والتعاطف تحول مع الايام الى بعض حدود المشاركة والتشاور . وعلى اثر هزيمة ١٩٤٨ والمخازي التي ارتكبها الحكام العرب تنادى محاربو « جيش الانقاذ » وكانوا بقيادة العقيد طه الهاشمي العراقي ومن ابرزهم عدنان المالكي والقنوت وحمدون واديب الشيشكلي ووصفي التل وفوزي القاوقجي وقرروا رفض قبول وقف اطلاق النار وحالة الهدنة ، وارسلوا مندوبين عنهم الى دمشق يبلغون شكري القوتلي بعزمهم على الاستمرار في القتال ولو ادى بهم ذلك الى احتلال دمشق وخلع القوتلي عن سدة الرئاسة .

ويروي وصفي التل الذي كان من بين رسل ضباط الجبهة الى العاصمة دمشق — انه في الليلة نفسها التي تقرر فيها العصيان على قرار وقف اطلاق النار والتوجه الى احتلال دمشق ، حضر حسني الزعيم الى مقر قيادة « جيش الانقاذ » في الجبهة ليبلغ الضباط الغاضبين بانه سينفذ انقلابا عسكريا ضد شكري القوتلي وانه من رأيهم في ضرورة استئناف القتال بأي ثمن ومهما تكن النتائج . ونفذ حسني الزعيم حركته برضى ومباركة ضباط جيش الانقاذ بما فيهم ضباط الحوراني ، المالكي والقنوت وحمدون . لكن حسني الزعيم سرعان ما نكث بوعوده .

وتراجع عن استئناف القتال واكثر ، اذ دعا كبار ضباط الجبهة للاجتماع به في دمشق حيث اعتقلهم واحدا واحدا . كما سرح بعضهم امثال الشيشكلي وعدنان المالكي وغيرهما . وكان انقلاب حسني الزعيم اول دلالة على وجود ضباط « اشتراكيين » او اصدقاء للحوراني داخل الجيش السوري حين كان عفلق والبيطار مفتقرين الى هذا الوجود العسكري . ثم دار الزمن دورته واذا بضابط جيش الانقاذ المسرح اديب الشيشكلي يتسلم مقاليد السلطة وراء

الشعار القديم نفسه «تحرير فلسطين» و« محو العار الصهيوني عن العرب » .

وفي عهد الشيشكلي كان « الحزب الاشتراكي » قد أندمج بحزب البعث . وعند ساعة التحدي وامتحان القوى بين الشيشكلي و« البعث العربي الاشتراكي » كان الرد بالانقلاب العسكري الذي تصدره مصطفى حمدون وعدنان حمدون (شقيقه) وامين الحافظ وبشير صادق وعبد الغني قنوت وكلهم اقرب في ولائهم الى الحوراني منهم الى عفلق والبيطار . ويتذكر ضباط ليلة ٢٧ — ٢٨ شباط ١٩٥٤ كيف اعتذر البيطار عن تأييد الانقلاب والمشاركة في الحكومة وكيف تضايق عفلق ضمنا بسبب بروز الضباط اصدقاء الحوراني على واجهة الانقلاب والحركة . ثم كان تمرد قطنا الذي قام به الضباط البعثيون . وكنتيجة طبيعية له اضعف حزب الشعب — حزب البورجوازية الكبيرة في سوريا وتصدر التجمع الوطني (البعث — والوطني — والشيوعيون) واجهة الحكم والمسؤولية . وحتى الوحدة لم تقم لولا زيارة ضباط القيادة الاربعة عشر الى القاهرة وتعهدهم العلني الشفهي لعبد الناصر بالطاعة وعدم التمرد والانقلاب . لكن الوجود العسكري البعثي في الجيش السوري ظل الى تاريخ قيام الوحدة وحل الحزب ملجوما بفتاوى وآراء القيادة السياسية واحيانا طرفا منفذا لها . (ورأينا كيف أمر الحوراني مصطفى حمدون بالسفر الى القاهرة غداة الانقلاب على الشيشكلي كترضية لجماعة الميثاق الوطني ، ثم كيف امره مرة ثانية مع عبد الغني قنوت بمغادرة سوريا وعدم ضرب الوحدة بعد اربعين ساعة على اعلانها) .

لكن قرار حل الحزب وفشل تجربة الوحدة قضيا على ما تبقى للقادة التاريخيين من هيبة ورصيد لدى صغار الحزبيين وخاصة لدى العسكريين منهم الذين خبروا مثل رفاقهم المدنيين نوع حكم الوحدة وكفروا به . وكان طبيعيا ان يحملوا قسما من هذه التجربة الفاشلة القيادة التاريخية للحزب — اي الاساتذة الثلاثة الذين وافقوا على حل الحزب كقربان على مذبح الوحدة المنشودة ، وان يعيدوا النظر في ايمانهم بالوحدة نفسها كشعار رئيسي واولي .

النهاية: ظهور القطرية وسقوط القومية

وهكذا للمرة الاولى في تاريخ الجيش ينشىء العسكريون منهم خلايا وتنظيمات حزبية دون علم القيادة القومية وحتى دون استشارتها ، مع النية المسبقة في تجاوز هذه القيادة نظريا وعمليا . ولدى قراءة منشورات التنظيم العسكري السرية التي كانت توزع على الاعضاء في مصر ايام حكم الوحدة وفي سوريا اثناء حكم الانفصال يلحظ القارىء بداية حملة النقد والتشكيك والاستخفاف بمواقف القيادة التاريخية القومية وتحليلاتها . لكن عسكريي فترة ما بعد الوحدة كانوا على عكس رفاقهم واصدقائهم عسكريي فترة ما قبل الوحدة اقرب الى عفلق والبيطار منهم الى الحوراني . فحركة ١٤ رمضان العراقية نفذت دون علم القيادة القومية وأوامرها . كذلك حركة ٨ اذار السورية ابلغ بها مدنيو الحزب وقيادتهم من باب العلم والخبر ليس اكثر . ولم يكن بمقدور

عفلق والبيطار ممارسة الضغط نفسه وقوة الرفض على العسكريين التي كان يمارسها الحوراني بسبب اختلاف الظروف التاريخية من جهة ، وبسبب الفوارق الشخصية القيادية بين الحوراني وحليفيه السابقين عفلق والبيطار . وبسيطرة العسكريين البعثيين على مقاليد السلطة في العراق ومن ثم في سوريا سيطرت معهم النزعة القطرية واسقطوا عمليا من حساباتهم وتفكيرهم شعار البعث الاساسي ، والتاريخي — الوحدة العربية . وان احتفظوا به كمادة دعائية واعلانية مسايرة للجماهير ومغازلة للقاهرة في وجه « اشتراكية الشيوعيين » من جهة ، وخطر وقوعهم في قبضة اليمين البورجوازي الاسلامي الذي كان ولا يزال يجاهرهم العداء ويتحين الفرص لضربهم وتصفيتهم من جهة اخرى .

الى جانب خلو البعث من الوحدة الايديولوجية والتي استبدلها عفلق « بالوضوح النظري من خلال التجارب والظروف » والتي كانت سببا رئيسيا من اسباب التفكك والتضعضع كتسبيقها التكتيك المرحلي على الاستراتيجية الشاملة المدروسة امام امتحان تجربة الوحدة مثلا ، فان الحزب حمل في داخله ومنذ ولادته نقطة ضعف ثانية هي ، نظامه الداخلي غير المركزي . فانطلاقا من نظرته القومية الشاملة لكل الاقطار العربية آسيوية وافريقية وضع السلطة الحزبية بيد قيادتين ، القيادة القطرية وهي اعلى سلطة للحزب داخل كل قطر من الاقطار ، والقيادة القومية التي تتمثل فيها جميع الاقطار والتي ترسم سياسة الحزب الاساسية وهي اعلى مرجع تنظيمي واداري في هرم الحزب . واحتفظت القيادة القومية بسلطتها العليا فعلا على الحزب عندما كان الحزب في مرحلة النضال والمعارضة . اما عند تسلمه الحكم في العراق وفي سوريا اثر انتكاس تجربة الوحدة وخطيئة حل الحزب من قبل القيادة القومية فتحولت القيادة القومية الى « مجلس منظرين » لا حول له ولا قوة بما في ذلك امينه العام عفلق .

فأمام ازمة البعث العراقي في تشرين ١٩٦٣ كانت الدبابة والطائرة هما الحكم وهما القوة الفاصلة ، وليست آراء أو فتاوى القيادة القومية التى حضر اعضاؤها من دمشق . لا بل وصل الامر ببعض الضباط البعثيين الى احتجاز أعضاء القيادة القومية ووضعهم في الاقامة الجبرية . ثم ترحيلهم في طائرة الى خارج الحدود . وها هو عفلق نفسه يروي نقاط ضعف حزبه في بيانه الشهير قبل اخراجه من سوريا في شتاء ١٩٦٦ : « لقد تبدلت معالم هذا الحزب وتبدلت نفسية أعضائه . وتوجد حقيقة اخرى وهي ان هناك اهمالا في الحزب ومواطن ضعف قديمة وجدية سمحت بان يضلل قسم غير قليل من قواعد الحزب وبأن يسيئوا الفهم نظرا لانقطاع الصلة بين القيادات والقواعد ولانعدام التثقيف والتوجيه ولنقص الغذاء الفكري اليومي .

ويؤكد عفلق تحويله مع قيادته القومية الى ما يشبه « مجلس منظرين » حين يقول : « في أوائل ١٩٦٤ اردت ان ازور بعض الفروع الحزبية في المناطق . وطلبت من الرفيق فهمي العاشوري الامين القطري وقتذاك ان يرافقني . واتفقنا على السفر . وفي اليوم المحدد لم يأت الرفيق فهمي فأجلت السفر ولم اعرف سبب ذلك الا بعد اشهر عديدة عندما قام الرفيق فهمي في اجتماع رسمي وقال بأنه طرح الامر على القيادة القطرية فارتأت القيادة القطرية عدم مناسبة زيارة الامين العام للفروع » .

حادثة ثانية :

« بعد اشهر ذهبت الى اللاذقية واتصلت باحد أعضاء قيادة الفروع وهو المحافظ ، وطلبت اليه ان يعلم القيادة بانني اريد زيارة الفروع . وعندما وصلت الى مقر الاجتماع لم اجد هناك احدا » (المصدر نفسه) .

وهكذا افلت زمام قيادة الحزب من يد القيادة القومية لا بل وصل الامر الى ان صارت القيادة الحقيقية ضدها . وهي خاصة او ميزة تضاف الى خصائص وميزات حزب البعث التي ابتلى بها وحده دون سواه بين سائر الاحزاب العربية وربما الاحزاب العالمية .

خاض البعث حربه الخارجية — اي خارج اطارات حزبه على جبهتين ، جبهة اليسار الماركسي وجبهة اليمين الاسلامي . فمن جهة الشيوعيين بدا جماعة «الاحياء العربي» قبل ان يتحولوا الى « البعث العربي » اول فترة من فترات التعاون والغزل ايام مرحلة « الشلل الطلابية » وذلك ما بين ١٩٣٤ ١٩٣٦ حين اصدروا معا مجلة «الطليعة» لكن فترة التعاون والغزل هذه لم تعش اكثر من سنتين ، اذ جاءت حادثة توقيع المعاهدة الفرنسية — السورية فرحب بها الشيوعيون لانها هدية حكم رفاقهم في « الجبهة الشعبية » الفرنسية بينما رفضها شباب الاحياء العربي واعتبرها «خدعة ومناورة لا تغني عن الاستقلال». ثم تعاقبت الاحداث من سلخ لواء الاسكندرون الى الحرب العالمية الثانية الى ثورة رشيد عالي الكيلاني ، واتسعت شقة الخلاف اكثر فاكثر . ففي حين سكت الشيوعيون عن سلخ لواء الاسكندرون وايدوا فرنسا الديغولية حليفة موسكو ستالين ضد النازية ، وقف شباب « الاحياء العربي » ضد سلخ لواء الاسكندرون كما تعاطفوا مع الالمان املا في الخلاص من الاستعمار الفرنسي ونصروا ثورة رشيد عالي الكيلاني بالكلام وبالخطب وبعضهم بالاشتراك الفعلي (جمال الاتاسي ، عبد الكريم زهور) . ويوم تأسيس «البعث» رسميا سنة ١٩٤٦ استقبله الشيوعيون بحملة قاسية واصفين اياه « بالشوفينية حينا وبالعمالة للاستعمار الانكليزي » حينا اخر . واستمرت حال الجفاء والعداء بين البعث والشيوعيين الى تاريخ سقوط الشيشكلي في سوريا وقيام ما عرف « بالجبهة الوطنية » ، وظل التعاون بين الحزبين في الاقطار العربية كلها الى ما بعد قيام الوحدة بقليل ، لتعود حرب الاتهامات وتراشق التهم من كلا الطرفين مرة ثانية بسبب احداث العراق (تصفية البعث على يد الشيوعيين والقاسميين) ١٩٥٩ — ١٩٦١ ، ثم ردة الرجل بتصفية الشيوعيين والقاسميين بعد سقوط قاسم ١٩٦٣) حتى برز فجأة ايمان موسكو بيسارية العسكريين بعد سقوط البعث العفلقي في دمشق شباط ١٩٦٦ ، فتبعها الشيوعيون العرب في مباركة حكم ٢٣ شباط والاشتراك بوزاراته ، والدفاع عنه عربيا ودوليا . ثم حدث الشيء نفسه مع اختلاف كمي في تأييد البعث العراقي العسكري الجديد الذي استولى على السلطة بعد سقوط حكم عارف الثاني (عبد الرحمن) ١٩٦٨ .

هذا في مجال التكتيك والممارسة اليومية .

اما على الصعيد النظري فقد مرت علاقة البعث بالشيوعيين بمرحلتين اساسيتين لخصهما عفلق على الشكل الاتي : « هناك موقفنا من الماركسية ومن الشيوعية المحلية والعالمية . ولتبسيط الموضوع نقول ان هنالك في موقفنا طورين : الاول منذ نشأة الحزب حتى ١٩٥٦ . والثاني منذ ١٩٥٦ حتى اليوم (١٩٦٦) . فعندما نشأ الحزب كان بيننا وبين الشيوعيين خلافات كبيرة وجدية وفي غاية الخطورة . ان الماركسية لم تقدم جوابا على مشاكلنا القومية . وكان الشيوعيون ينكرون القومية ويعادونها كما كانوا ينكرون الوحدة ويعملون على اساس اقليمي . ولم تقدم الماركسية جوابا على مشاكل البلدان المختلفة ولم تفهم ان النضال القومي التحرري فيها يكون مقرونا بالنضال الاشتراكي .

ففي ذلك الطور لو اخذ العرب بالماركسية وساروا في ركاب الشيوعيين لكانوا ذيلاً لغيرهم ولما وصلوا الى الاستقلال والى الثورة الاشتراكية . كانت الماركسية ترتبط بالحركة الشيوعية العالمية وكانت الاحزاب الشيوعية تطلب الى العرب آنذاك أن يسكتوا عن الاستعمار الفرنسي والانكليزي لان الفرنسيين والانكليز كانوا حلفاء للسوفيات . وكان هذا الموقف خيانة لاهداف الامة ، ولهذا كان لا بد للبعث أن يكشف حقيقة أن الشيوعية حركة ثورية ولكنها خاطئة وغير ملائمة لبلادنا لانها لا تتفهم مشاكلنا ولا تقدم الحلول الصحيحة لها . وبعدما زال هذا الاهمال لم يعد جائزا أن ننظر الى الماركسية نظرة تعصب . فالماركسية نظرية اشتراكية وهي اولى النظريات واهمها — يجب الان ان ننفتح عليها انفتاحا موضوعيا — ان موقفنا منها لم يعد سلبيا وفي الماضي لم نكن مقلدين ولا زلنا غير مقلدين » (نضال البعث) .

أما على الجانب اليميني الاسلامي فقد مر البعث بثلاثة اطوار :

الاول — عداء مكشوف من العناصر الاسلامية المحافظة في سوريا والعراق والتي اتهمت البعث « بالهرطقة » ، ثم مرحلة الحرب السافرة بعد الخمسينات ، اي في المرحلة التي آخذ البعث فيها

الصفة الاشتراكية) التي راحت تتصاعد حتى بلغت ذروتها في اثناء حكم الوحدة وما قبل ذلك بقليل . لكن عناصر البورجوازية الوسطى والصغرى عادت وخففت من حدة حربها على البعث اثر الانفصال وبعد سيطرة النزعة الاقليمية القطرية على الحزب ، بينما عناصر اليمين في ابان مهادنتها للبعث بعد الانفصال مثلا في سوريا او في العراق حاليا ، تمارس سياسة الحذر واحيانا سياسة الحرب الباردة ضد البعث لانه في رأيها غير مضمون من حيث محافظته ورجعيته . أما في سوريا ما بعد حركة ٢٣ شباط فان عناصر اليمين على مختلف درجاتها ومستوياتها تخوض حربا سافرة ضد بعث صلاح جديد ويوسف زعين بسبب تقربه من الاتحاد السوفياتي المستمر خارجيا وتركيزه على «الخطوات الاشتراكية » محاولا الاقتراب شيئا فشيئا من التفسيرات الماركسية واجتهادات الشيوعيين المحليين .

سؤال اخير لا بد من طرحه : الى اين وصلت مسيرة شباب الاحياء العربي ثم البعث ، فالبعث الاشتراكي منذ ١٩٣٢ الى اليوم — اي ما يزيد عن الاربعين سنة من عمر هذه الامة ؟ لقد كان حزب البعث عن حق حزب الثورة العربية وحزب الوحدة العربية . وبقدر صعوبة تحقيق هذين الهدفين كانت مسيرة البعث وعرة وشاقة ، فمن تأثره بنظرة ماتزيني الرومنطيقية الى التقارب مع نظرة روزا لوكسمبورغ القومية الاشتراكية في بعض المراحل .

لعل حزب البعث هو الحزب الوحيد في المنطقة العربية الذي وصل الى مرحلة الحكم ويمارسه الان في بلدين عربيين هما سوريا والعراق . وكما يحدث عادة لكل الاحزاب التي تحكم فقد انقسم البعث اجنحة وتيارات تعادي بعضها البعض بضراوة وبشراسة . والناظر الى الخريطة البعثية حكما وحزبا يتذكر اسطورة « الكترا » وكيف قتل ابن الامبراطور والده ليتزوج امه . هكذا حل ببعث عفلق حيث قتله اولاده معنويا في سبيل زواج الحكم وليس الوالدة . ومن غرائب القدر أن يكون « أولاد » البعث حاكمين في سوريا وفي العراق و« الاباء » الثلاثة مشردين بين لبنان وباريس والبرازيل — عفلق يتيه كالشريد بين باريس والبرازيل . وصلاح البيطار يضع في لبنان مسودة مشروع حزب جديد . واكرم الحوراني ساجنا نفسه في غرفة صغيرة في بيروت يحاول هو بدوره ان يجد حلا لاشتراكيته ومجالا لممارسة قدرته الخارقة في السياسة السورية والعربية .

مأساة زعماء البلاشفة الاول تتكرر مع زعماء البعث ؟ فأولئك قتلوا تروتسكي ساعد لينين الايمن الشريد في المكسيك. ولعنوا ستالين ميتا وجدفوا على قبره. لكنهم احتفظوا بالوالد لينين .

أما مع البعث فحتى لينينه أصابه ما أصاب تروتسكي وستالين وهو بعد حي . امرد ذلك الى تثليث الاباء أم الى عوامل اخرى ؟

مأساة البعث — ربما تكون هي مأساة الجيل العربي كله خلال اربعين سنة من الزمن حمل فيها كل ما في اعماق هذه الامة من البداوة والفردية والتخلف والتعقيدات الدولية وعجز عن تخطيها ، لان المؤسس والباعث الاول اعطي وضوح الرؤيا النظرية وصفاءها ، لكنه حرم القدرة الجسدية والشخصية على ممارسة العمل السياسي اليومي .

ولعل عفلق يردد الان بينه وبين نفسه بيت الشعر القديم الذي نظمه وهو شاب في الثلاثين :

« انا نهر حيران لم يلق بعد بحره .. »

وهل تراه لاقيا يوما بحره وكيف ؟ وأين ؟ ...

ملف النهار : العـــدد ٢٥ ــ ١٨ اذار (مارس) ١٩٦٩
الناشر : دار النهار للنشر ش.م.ل. راسمالها نصف مليون ليرة لبنانية
الادارة والتحرير : دار التعاونية الصحافية . شارع مصرف لبنان . ص.ب. ٢٢٦
هاتف : ٢٥.٩٦٠/١/٢/٣

تصميم : عجاج مراوي

صدر :

- تشي غيفارا ــ عبد الكريم ابو النصر
- ازمة الحكم بعد النكسة ــ غسان تويني
- الجنوب العربي : من الاستعمار الى الاستقلال ــ رياض نجيب الريس
- الحروب المصيرية ــ سبع بولس حميدان
- اليمن : جمهورية و١٥ اماما ــ فؤاد مطر
- الحياة النيابية في لبنان (١) ــ الانتخابات بالارقام
- الحياة النيابية في لبنان (٢) ــ التشريع بالخرائط
- الحياة النيابية في لبنان (٣) ــ النواب بالاحصاء
- جمال عبد الناصر : بقلم عشرة كتاب غربيين ــ عبد الكريم ابو النصر
- الفدائيون ــ انطوان بطرس
- الذهب ، الاسترليني ، الدولار ــ مروان اسكندر
- فلسطين : ابعد من الحل السياسي والحل العسكري ــ قيس الجردي
- الشاطىء المتصالح : حكاية القراصنة واللؤلؤ والنفط ــ رياض نجيب الريس
- القدس : حرب لا سلام ــ هاني المفتي
- الشيوعيون العرب ــ ابراهيم سلامه
- فرنسا : الجمهورية الخامسة والنصف ــ نزيه الحكيم
- كينيدي : سباق مع الموت ــ هاني المفتي
- اوروبا الشرقية : « اخواني سقطت الاقنعة » ــ عبد الكريم ابو النصر
- لورنس العرب : الشذوذ والخيانة ــ رفيق خوري
- الثورة الثقافية : صين ماوتسي تونغ ــ ابراهيم سلامه
- قناة السويس : مئة سنة بالصور ــ عبد الكريم ابو النصر
- الاسود والابيض : الزنوج في اميركا ــ رياض نجيب الريس
- كوبا : مذكرات روبرت كينيدي ــ سمير عطاالله
- تشيكوسلوفاكيا : من التحرر الى الغزو ــ رياض نجيب الريس وعبد الكريم ابو النصر

الثمن : ٥٠ قرشا لبنانيا